

لبنان الكرامة

منذ 17 سبتمبر الماضي، ولبنان الشقيق يتعرض لحرب إبادة وتدمير ممنهجة تطال الأطفال والمدنيين والمؤسسات في كافة الأراضي اللبنانية، في إطار العدوان الصهيوني، المدعوم من الإمبريالية العالمية وفي مقدمتها الأمريكية، على غزة والضفة الغربية، وغاية العدوان الصهيوني على لبنان القضاء على صمود الشعب اللبناني ومقاومته للمحتلين الصهاينة، وتعطيل جبهة التصدي اللبنانية لهم منذ بدء عدوانهم على غزة، ونحن نعلم ما يُمثله لبنان من أهمية في هذا المضمار، منذ ما قبل إنطلاقة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية عام 1982، وما تلى ذلك من أوجه تصد للمحتل. لبنان، بالنسبة لنا جميعاً، هو لبنان الكرامة والصمود، الذي قَدّم ولا يزال يقَدّم للقضية الفلسطينية أعلى التضحيات، رغم الصعوبات الشديدة، ورغم تعقيدات الوضع الداخلي في البلد، والضغوط التي تمارس عليه من جهات مختلفة، تريد تعطيل دوره في مساندة فلسطين، خاصة في ظل الوضع العربي المتروكي، وجنوح بلدان عربية مختلفة للتطبيع مع دولة الكيان المحتل، وما يقتضيه هذا التطبيع من لجم أوجه التصدي للعدو الصهيوني، وتعطيل التضامن والمساندة العربيين للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل نيل حقوقه الوطنية المشروعة، وفي مقدّمته حقّه في العودة إلى أرضه وإقامة دولته الوطنية المستقلة عليها.

نحن في البحرين، وفي منبرنا التقدمي، نقف بقوة مع الدعوة التي أطلقها اللقاء اليساري العربي، في «إعلان بيروت» الصادر عن لقائه العاشر في 15 أيلول/ سبتمبر 2024، والذي تشكّل الأحزاب والتنظيمات العضوة فيه، سنداً وقاعدة مهمة جداً في دعم صمود ومقاومة الشعبين الفلسطيني واللبناني في تصديهما للعدوان الصهيوني، ونؤكد على ما ذهب إليه بيان اللقاء اليساري، حول العدوان المستمر على لبنان منذ أيام، من أنّ «معركة المواجهة ضد العدو الصهيوني بالشراكة مع أسياده وأدواته، طويلة وقاسية وخطيرة جداً. لذلك، فإنّ كلّ المبادرات الثورية ضرورية ومطلوبة من اللقاء اليساري العربي، لتفعيل حضوره ومساهماته السياسية والميدانية في مواجهة الحرب العدوانية المصيرية التي تستهدفنا جميعاً».

ومهما كانت وحشية العدو وما يملكه من أدوات القتل والدمار والخراب، وما يُوقعه من ضحايا بشرية ومن خسائر مادية، ومن تصفية واغتتيال القيادات، بمن فيهم الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، وما يُسببه العدوان من معاناة للمدنيين من سكّان الجنوب والبقاع وغيرها من المناطق، فإن لبنان الكرامة لن يستسلم.

التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 203 السنة 22 - أكتوبر 2024

لبنان الكرامة



عام من الإبادة الجماعية في غزة

«ماي ورد».. رائحة النوستالجيا

بمناسبة اليوم العالمي للديمقراطية... التقدمي والقومي والوحدوي:

الدعوة لحل شامل للأزمة السياسية

وحريات المجتمع المدني، وكان آخرها منع نادي العروبة من إقامة ورشة حول رؤية البحرين 2050 بالصد من دعوة صاحب السمو ولي العهد لمؤسسات المجتمع المدني للمساهمة في مناقشة هذه الرؤية. وقالت الجمعيات في البيان بأن: «ما ينتهك الحريات الديمقراطية هو اتساع فجوة الفقر وتدني المستوى المعيشي وتراجع مظاهر العدالة الاجتماعية في الوظائف والسكن والتعليم والخدمات الحكومية وحماية حقوق المتقاعدين واتساع الفئات المحرومة من الحياة الكريمة مع مراوحة معدلات البطالة وتدني الأجور وتفاقم مشاكل التجنيس وسط إصرار الدولة على التمسك بنهج النيوليبرالية الاقتصادية الضار سياسياً واقتصادياً واجتماعياً».

وإعادة المسقطه جنسيتهم. كما تدعو لفتح حوار وطني يسمح بتطوير التجربة الديمقراطية وتحقيق المطالب السياسية المشروعة. وجددت الجمعيات دعوتها للدولة للمبادرة وتهيئة الأجواء المؤدية إعادة الحيوية للحياة السياسية وتضمن مشاركة أوسع الفئات والقوى السياسية فيها وأن تكون مدخلاً لتعزيز الوحدة الوطنية والشراكة السياسية، حيث باتت مراوحة الأوضاع السياسية وتراجع الحريات تمثل عبء كبير تنوء به بلادنا العزيرة، وانعكس سلباً على الوضع الاقتصادي والمعيشي للدولة وللمواطنين على حد سواء، وبات يحول دون تطور التجربة الديمقراطية، بل ويؤدي إلى بروز الكثير من مظاهر عدم المساواة في الحقوق السياسية ومصادرة مظاهر حرية الإعلام الحر

رحبت جمعيات المنبر التقدمي والجمع القومي، والتجمع الوحدوي، بالعفو عن مئات السجناء السياسيين، وهي الخطوة التي لاقت تقدير وترحيب كبيرين من كافة فئات الشعب، وأدخلت الفرحة إلى بيوت أهالي هؤلاء السجناء. ودعت الجمعيات في بيان لها بمناسبة اليوم العالمي للديمقراطية إلى استكمال تلك الخطوات بمبادرات تؤدي إلى تبييض السجون من السجناء من ذوي الرأي، كما ودعت إلى تزمين هذه المبادرات مع خطوات تسهم في تحقيق الانفراج الأمني والسياسي من خلال توسيع الحريات السياسية والعمل السياسي وتمكين الجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني من أخذ دورها ومواقعها الفاعلة في المجتمع إلى جانب إعادة الجمعيات السياسية المنحلة للنشاط وإلغاء قانون العزل السياسية

«تقدم» تدعو لمعالجة

زيادة سقف الدين العام عبر توافق وطني

وفي ترحيبها بالإفراج عن ٤٥٧ سجينا

تتطلع لمزيد من

الإفراجات في الفترة المقبلة

رحبت «كتلة تقدم» البرلمانية بمرسوم العفو الملكي السامي بالإفراج عن 457 من المحكومين، حيث تمثل خطوات الإفراج هذه وجوه التسامح والحرص على تعزيز الوحدة الوطنية وقيم التعايش المشترك، وهي خطوة سبقتها خطوات ومبادرات مهمة في ذات الاتجاه، ونأمل أن تعقبها خطوات أهم على طريق لم الشمل الوطني بالنسبة لمجتمعنا البحريني المتسامح، وبشكل خاص لعوائل وأسر المفرج عنهم، واستعادتنا جميعاً وبثقة لمزاج أكبر من التسامح والتعافي والاستقرار الاجتماعي المنشود، والتي نأمل أن تُبنى عليها خطوات أكبر في القريب العاجل، فجلالة الملك هو والد الجميع ومظلتهم، ويستشعر قبل غيره معاناة الأفراد من المحكومين والأسر.

وطالبت «تقدم» في بيان أصدرته بالمناسبة، بضرورة إدماج جميع المفرج عنهم دون استثناء، ضمن مشروع وطني حقيقي وكبير، لتأهيلهم وتوظيفهم في مختلف أجهزة وقطاعات الدولة والقطاع الخاص ومؤسساته، بما يعم على الوطن والمجتمع بأسره بالخير والرخاء والاستقرار ومزيد من التنمية والازدهار.

أكدت «كتلة تقدم البرلمانية» على أن دراسة آلية عادلة لتطبيق ضريبة على أرباح الشركات كان على الدوام مطلباً يحتل الأولوية في برنامج عمل الكتلة ومقترحاتها أثناء مناقشات مجلس النواب منذ استعادة الحياة النيابية في مملكة البحرين، نظراً لما تمثله ضريبة الشركات من أهمية في تحقيق المزيد من العوائد والإيرادات لخزينة الدولة، والتي يجب أن توظف توظيفاً عادلاً لخدمة الاقتصاد الوطني واستدامة التنمية في البلاد.

وأضافت: لذلك يأتي المرسوم الملكي السامي رقم (11) الصادر بتاريخ 1 سبتمبر 2024 بشأن فرض 15% ضريبة على إيرادات الشركات والاستثمارات الأجنبية متعددة الجنسيات التي تتجاوز 750 مليون يورو، بدءاً من يناير 2025، ليلبي جزءاً مهماً من مطالبنا في تحقيق الاستفادة من وجود شركات واستثمارات أجنبية على أراضينا، طالما استفادت مما تقدمه بلادنا من بيئة استثمارية خصبة وموقع جغرافي وخدمات، أملين أن تتوافق رؤى السلطتين التشريعية والتنفيذية في القريب العاجل لتعميم ضريبة الشركات هذه محلياً على أكبر عدد من الشركات الكبرى العاملة في البحرين، وضمن آلية مدروسة تكفل تحقيق العدالة للجميع وتعود على الاقتصاد الوطني بمزيد من النماء والازدهار.

وقالت الكتلة: وبالنظر إلى توجه الحكومة المعلن بزيادة سقف الدين العام عبر استصدار سندات الخزينة، فإننا طالما طالبنا بضرورة توخي الحذر حيال ما يمثله ملف الدين العام من عبء متزايد على خزينة الدولة وعجوزات موازنتها العامة، حتى في ظل فترات ارتفاع أسعار النفط، وبالتالي قدرتها على تلبية احتياجات مواطنيها الأساسية من خدمات وتراجع لمعدلات الرفاه فيها، وما تتطلبه مشاريع التنمية من استقرار مالي واقتصادي لن يستقيم أبداً في ظل تراجع التصنيف الائتماني للبحرين إذا ما استمر التعاطي مع الدين العام بذات الآليات القائمة حالياً والتي أثبتت عدم جدواها.



فضفضة

مهارات

عيسى الدرازي

أطلقت وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، مبادرة مسوح المهارات في سوق العمل 2024. المبادرة تهدف إلى تحديد المهارات المطلوبة في سوق العمل، ومعرفة التحديات التي تواجهها المنشآت في التوظيف ومواكبة التغيرات التقنية في سوق العمل، لرفع إنتاجية الكوادر الوطنية في القطاع الخاص، وبناء منظومة مهارات متكاملة تنسجم مع احتياجات القطاعات ومتطلبات أصحاب العمل وأيضاً توجيه برامج التدريب والتعليم للموائمة مع متطلبات سوق العمل.

تستهدف المسوح معرفة مخزون المهارات التي يملكونها والتحديات التي تواجههم في سوق العمل بهدف رفع المهارات والإنتاجية على المستوى الوطني وتقليل فجوات المهارات واستشراف الاتجاهات المستقبلية في سوق العمل، كما ستعمل المبادرة على دعم القرارات والسياسات والبرامج المتعلقة بالمسارين التعليمي والمهني للكوادر الوطنية.

تعد مبادرة مسوح المهارات في سوق العمل السعودي 2024 خطوة بالغة الأهمية في مسار تطوير سوق العمل السعودي. كما أن التركيز على تحديد المهارات المطلوبة ومعرفة التحديات التي تواجه المنشآت هو أمر حيوي لتحقيق التطوير المستدام والارتقاء بإنتاجية القوى العاملة هناك. ويرى مراقبون بأنه من المتوقع أن تساهم هذه المبادرة في تحقيق العديد من الأهداف، بما في ذلك رفع إنتاجية القوى العاملة، وتقليل فجوات المهارات، وبناء اقتصاد قائم على المعرفة.

كما أن هذه المبادرة ليست حكرًا على المملكة العربية السعودية، بل يمكن تطبيقها في أي دولة تسعى لتطوير سوق عملها وتحسين كفاءة قوتها العاملة، كالبحرين. فنحن في حاجة مستمرة ودائمة لتطوير المهارات، ومواءمة مخرجات التعليم مع متطلبات سوق العمل، وتطوير تأثير التغيرات التكنولوجية على سوق العمل.

لذا فإن تطبيق مبادرة مسوح المهارات في سوق العمل البحريني، سيؤدي إلى تحديد المهارات المطلوبة وتطوير برامج التدريب والتأهيل، وهو ما يمثل خطوة مهمة نحو تأمين قوى عاملة تعتبر رافداً مهياً ومستعداً لمتطلبات وتقلبات سوق العمل.



في مقترح قدمه الشويخ.. وشرعت الحكومة في تنفيذه

رغبة نيابية لتدريب أطباء

«الخاص» في المستشفيات الحكومية



د. مهددي الشويخ

بجودة عالية للمواطنين، وتطوير الرعاية الصحية في بلادنا.

وتابع قائلاً: الهدف الأول لهذا المقترح هو معالجة البطالة المؤسفة بين صفوف الأطباء، إذ يوجد لدينا خريجين من أفضل الجامعات يتجاوز عددهم 400. ولا بد من تقديم تدريب نوعي لهؤلاء يضمن توظيفهم. والقطاع الخاص لن يتحمل تكلفة تدريبهم منفرداً.

واختتم الشويخ تصريحه قائلاً: نأمل أن يتولى صندوق العمل تحمل تكاليف هذا التدريب في المستشفى الحكومية مما يخفف العبء المالي عن المستشفيات الخاصة ويحفزها على توظيف وتدريب الأطباء الشباب، وكذلك يتيح تدريب عدد كبير من الأطباء داخل المستشفيات الحكومية.

تقدم عضو كتلة "تقدم" النائب الدكتور مهدي الشويخ اقتراحاً برغبة للحكومة بأن تتولى توفير برامج تدريبية تخصصية للأطباء العاملين في المستشفيات الخاصة على أن تكون هذه البرامج مدعومة من قبل صندوق العمل "تمكين".

وينص المقترح على أن تتولى وزارة الصحة ممثلة بالحكومة بتدريب الأطباء العاملين بالقطاع الخاص داخل المستشفيات الحكومية التي تمتلك البنية والقدرات على احتضان هذه النوعية من البرامج التدريبية التخصصية.

وأوضح النائب الشويخ بأن المقترح برغبة قدم في شهر يناير 2024، وحصد تفاعلاً حكومياً جيداً، وقدمت ردوداً رسمية إيجابية اتجاهه. ولدينا بعض الملاحظات على تنفيذه، وسندعمها للحكومة في المستقبل القريب.

وبحسب المذكرة الإيضاحية، فإن المقترح جاء تفعيلاً للمادة (1/8) من دستور مملكة البحرين والذي ينص "بأن لكل مواطن الحق في الرعاية الصحية، وتعنى الدولة بالصحة العامة، وتكفل وسائل الوقاية والعلاج بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية".

وقال الشويخ: إن المقترح جاء في إطار جهود تطوير الكفاءات الطبية في مملكتنا وتعزيز الخبرات العملية للأطباء العاملين في المستشفيات الخاصة عبر زيادة برامج التدريب النوعية الموجهة لهم، ولا سيما المتوظفين حديثاً.

وأردف أن الهدف الرئيس من وراء الاقتراح هو تعزيز الكفاءات الطبية المواطنة، وذلك بتحسين كفاءتنا الطبية في القطاع الخاص. وأيضاً تقديم الخدمات الصحية



جانب من الحضور

المنبر التقدمي يستذكر مناقب الرفيق مصطفى التمار في أمسية حزبية



عادل المتروك

نصير الفقراء

من جانبها قالت ابنة الراحل لينا في كلمة العائلة: «جننا اليوم نجتمع معاً في وداك، نتذكر خصالك الحميدة ونثني على مواقفك الوطنية، فقد كنت وفياً لوطنك وشعبك، مخلصاً

2002 بينما تولى إدارة حملة الرفيق فلاح هاشم، كان يضع لنفسه وللرفاق من حوله مخططاً للعمل على حمل الناس التصويت لمرشح التقدمي، يمسح المجمعات بيتاً بيتاً ويدخلها مستغلاً الحملة لتوعية الجماهير وإيصال صوت التقدمي وبرنامجه إلى وعي العامة».

أبّن المنبر التقدمي الرفيق الراحل مصطفى التمار، في أجواء من الوفاء لذكراه ولدوره النضالي، مستذكّرين مناقب الفقيد ومآثره التي لامست جميع من صاحبه ورافقه طوال حياته الحزبية والمجتمعية.

في كلمة المنبر التقدمي، قال الأمين العام المحامي عادل المتروك بأنه: «ازهرت بوادر الروح النضالية للرفيق الراحل منذ انتمائه إلى صفوف اتحاد الطلبة في سنوات الدراسة في المدرسة الإعدادية، نشط فيه حتى بدا متميزاً، تأثر من شقيقه الأكبر الرفيق إبراهيم سلمان أبوسلام الذي اهتم فيه ورعاه وقام على تربيته وتوجيهه منذ بداياته المبكرة».

وواصل: «كان له دور مميزاً مع رفيقة دربه ام وليد في إشاعة مفاهيم تحرر المرأة، والنهوض بوعي النساء القرويات، كما أسند إليه الرفاق في الجبهة الكثير من المهام المفصلية في مسيرة حزبنا و منها تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطي (أشدب)».

ولفت المتروك بأن: «الفقيد من القلة الذين عبروا من فترة العمل السري إلى العمل العلني بعد تأسيس المنبر التقدمي دون إرباك أو تشويش، وأنّ تحوله على الصعيد الشخصي إلى العمل العلني نموذج يحتذى به، كان واحد من المؤسسين ثم العاملين في لجان وقطاعات التقدمي، تفانيه في العمل ملحوظ من كل الرفاق، بذل كل ما يستطيع من دعم مادي ومعنوي، تولى مهمة تطوير الكادر والتثقيف النظري فترة عضويته في اللجنة المركزية، كما نشط في الحملات الانتخابية ومن بينها حملة الرفيق عدنان جمعة في عام



ذاكرة



فلاح هاشم



حسن الحجري



لينا مصطفى

■ عادل المتروك: عمل الفقيد بإخلاص في صفوف «التقدمي» ومن أجل إيصال صوته إلى الناس

■ لينا مصطفى: كنت وفياً لوطنك وشعبك، مخلصاً في الدفاع عن قضاياهم، تائراً على الظلم ونصيراً للفقراء

رغم الضربات الموجهة في صفوف الرفاق والكوادر لجبهة التحرير الوطني البحرانية والجبهة الشعبية، ذلك المد الثوري بات أكثر وضوحاً في الانتفاضة العمالية عام 1972 والتحركات الجماهيرية ما بعد الاستقلال المبتور الذي توج بإصدار مواد أول دستور للبلاد وإنشاء الحياة النيابية في العام 1973 التي أسرعت السلطة لإنهائها بموجب قانون أمن الدولة السيء الصيت الذي صاحبه شن حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت نواب كتلة الشعب في صيف 1975».

المشاركة في الانتخابات

من جانبه، قال الرفيق فلاح هاشم في كلمة له بأنه: «قبيل أن يعلن التقدمي في عام 2018 نيته المشاركة في الانتخابات النيابية بعيد حوارات بين أعضائه وكوادره وخلال تلك الحوارات التي كان الرفيق أبو وليد مشاركاً فيها برؤية ثابتة مبنية على خلفية مبدئية مشددة عليها وأن علينا أن نعمل عبر جميع أساليب النضال لتعبير عن موقفنا من العملية الإصلاحية والالتزام بما هو في صالح المواطنين والوطن تجسيد للمبادئ المتضمنتها أدبيات التقدمي»، وتابع: «تسلم الرفيق تلك المسؤولية وأدارها بحرفية عالية رغم ما واجهتنا من تحديات خاصة في الموارد المالية والبشرية إلا أنه استطاع وعبر فريق محدود من الأصدقاء والرفاق أن يعمل ما يشبه المستحيل وكان دائماً ما يؤكد على تلك التعاليم والمبادئ التي آمن بها عن أهمية التواصل مع المواطنين».



فيصل خليفة

الثاني من القرن العشرين لم يكن حراكاً عفويًا بل كان منظماً وسرياً بفضل وجود الحركات السياسية الناشطة في تلك الظروف الصعبة أمنياً التي يشوبها المطاردات البوليسية والاعتقالات والسجن والتشريد والمنافي تلك الظروف التي لم تكن عائقاً للمد الثوري المتنامي منذ انتفاضة مارس 1965 وما بعدها من إضرابات عمالية وتحركات طلابية

في الدفاع عن قضاياهم العادلة، معتدلاً في جميع مواقفك لا تعادي أحداً رغم الاختلاف، تائراً على الظلم والظالمين، نصيراً للفقراء والمحتاجين.. ولهذا كسبت احترام الناس من حولك من أهلك ومن رفاقك الأوفياء، بقيت مؤثراً وفاعلاً في الساحة نشيطاً تعمل بهدوء خَرَجْتَ شاباً أصبحوا مناراً لهذا الوطن».

وأضافت: «كنت محباً إلى رقيقة دربك في النضال، أمة الأستاذة والمربية حياة الموسوي مسانداً لها في إدارتها للعمل الاجتماعي والسياسي والتطوعي، وداعماً لها في تربيتنا ومناصرة للمرأة ومشجعاً لها، تؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وهي التي بدورها وقفت إلى جانبك وساندتك وأكملت معك الدرب الطويل، خمسون عاماً تحملت فيها كل المصاعب من فراق ولقاء من اختلاف وتوافق من فرح وحزن، وواصلت الدرب معاً ويدا بيد كل متمسك بالآخر حتى النفس الأخير».

نشاطه السياسي

إلى ذلك قال الرفيق حسن الحجري في كلمة لرفاق الفقيد بأن: «الراحل قضى سنوات عمره في ظروف صعبة وشاقة تلك الظروف التي غرست لديه قوة الإرادة والعزيمة والجد طوال حياته الدراسية والعملية فكان ذكياً ومجتهداً في جميع المراحل الدراسية ناهيك عن النشاط السياسي الذي يمارسه والمتمثل في توزيع نشرة الجماهير على أدرج الطلبة منذ الصباح الباكر».

وأضاف: «الحراك السياسي للمجتمع البحريني في النصف

التقدمي في بيان تضامني مع لبنان الكرامة أوقفوا العدوان الصهيوني على فلسطين ولبنان



أدان المنبر التقدمي الاعتداءات الصهيونية الوحشية على لبنان، والهادفة لتوسيع العدوان إلى حرب شاملة في المنطقة، حيث بدأ في السابع عشر والثامن عشر بتفجير أجهزة "البيجر" وفي اليوم الثاني تم تفجير الاتصالات اللاسلكية مما أدى إلى سقوط المئات من المواطنين اللبنانيين المدنيين بين قتيل وجريح.

وقال التقدمي في بيان أصدره بهذا الخصوص إن "هذا العمل الإجرامي الإرهابي غير المسبوق في الحروب، تجاوز كل الخطوط الحمراء، مما أدى إلى سقوط العشرات من المدنيين وبعض من الكوادر العسكرية للمقاومة، مما فاقم من الوضع المتأزم في الأصل في لبنان، وأعقب هذه الاعتداءات شن هجوم جوي تمثل في آلاف الضربات الجوية وهي مستمرة حتى اللحظة ذهب ضحيتها حتى تاريخ تحرير هذا البلاغ ما يقارب من 600 ضحية من الأطفال والنساء والمدنيين".

وأكد التقدمي: "إن الدعم المتواصل وغير المشروط واللامحدود الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة الاحتلال من أسلحة وذخائر ودعم مادي واصطفاف في مجلس الأمن والأمانة العامة وغيرها من الهيئات الدولية سبب مباشر في استمرار هذا العدوان وشراكة فعلية في هذه الإبادة. كما نطالب الدول العربية والإسلامية بتقديم الدعم والمساندة المادية واللوجستية الفورية للشعبين الفلسطيني واللبناني".

وناشد التقدمي الدول والشعوب الحرة بالتضامن معهم، والمطالبة بوقف العدوان والقتل، وتقديم قادة الكيان الصهيوني القتل المجرمين للمحاكم الدولية على أفعالهم الإجرامية بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني.

في اللقاء اليساري العربي العاشر

الخليبي: كل مكونات شعبنا ضد التطبيع مع العدو الصهيوني

في نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن الماضي، في الوقت الذي تمنع خروج التظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية في العديد من العواصم العربية، بل يجرم ويعتقل من يتضامن مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة أو الضفة الغربية، وفي الدول العربية المطبّعة مع الكيان الصهيوني تستمر العلاقات الدبلوماسية وكذلك التجارية، وكأنّ ليس هناك انتهاكات صارخة لأبسط حقوق الإنسان من قبل القوات الصهيونية المحتلة، ألا يشعرون ألا يخلون بما يحدث من ممارسات إجرامية»

وأكد الخليبي أن "كل مكونات وأطياف شعبنا البحريني ضد التطبيع مع العدو الصهيوني وتطالب الحكومة بإلغاء الاتفاقية الموقعة مع الكيان الصهيوني وطرد السفير الصهيوني من بلادنا وإغلاق السفارة الصهيوني في المنامة، وإنهاء التواجد العسكري الأمريكي من بلادنا، ومقاطعة الشركات والصناعات الأمريكية والبريطانية والأوروبية الداعمة للكيان الصهيوني، وتردد هذه المطالب الشعبية في المسيرات والتظاهرات والاعتصامات التضامنية مع الشعب الفلسطيني المقاوم باستمرار .

قال الرفيق فاضل الخليبي نائب الأمين العام للشؤون السياسية، إن الإبادة الجماعية في غزة، كشفت حقيقة الإمبريالية الأمريكية وحلفائها الغربيين، وأسقطت كل الأقنعة، وتهاوت المبادئ الليبرالية التي نادى وتغنّت بها أمريكا وأوروبا لسنوات وسنوات، فلم تعد تنطلي على الشعوب الحرة بما فيهم شعوبهم التي خرجت بالآلاف في تظاهرات واحتجاجات حاشدة ضد قتل الفلسطينيين في غزة.

جاء ذلك في كلمة المنبر التقدمي التي ألقاها الخليبي في اللقاء اليساري العربي العاشر في اجتماعه الدوري العاشر في بيروت بين 13 و 15 أيلول / سبتمبر 2024، تحت شعار: «لتعزيز دور اليسار العربي في مواجهة العدوان الإمبريالي - الصهيوني المستمر على فلسطين ولبنان والمنطقة». بالتزامن مع الذكرى الـ 42 لانطلاقة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية. وذلك بحضور 20 وفداً يسارياً من 10 بلدان عربية.

وأشاد الخليبي «بالتظاهرات والاحتجاجات الطلابية في كبرى الجامعات الأمريكية والبريطانية والأوروبية، حيث لم تخرج بهذه الأعداد الكبيرة منذ الحرب الأمريكية في فيتنام



نبذة عن تاريخ الحركة النقابية في عام 1965



إن استهداف الحركة النقابية وضرب مواقفها في خلق قاعدة صلبة لأجل وضع مساعٍ للوفاق بين طبقتنا العاملة وأرباب العمل، لكن هناك صعوبات لتطوير هذه المساعي لأن أرباب العمل يسعون لوفاقٍ يصب في مصالحهم الخاصة لأنهم لا يلتفتون لأهمية وضع أسسٍ تُخدم بناءً ونسيجٍ وطنيٍ مشتركٍ يكفل للجميع التنمية الوطنية أولاً، فمصالحهم الشخصية وحبهم للمال تعميهم عن النضرة العاملة لمصلحة الاقتصاد الوطني وتنمية عصبه الفاعل والمؤثر (الطبقة العاملة)، وللعلم أن لا تنمية اقتصادية للوطن دون تقدير القوى العاملة التي هي من ينمي الاقتصاد الوطني وريفيها (الحركة النقابية)، حيث هي صمام أمان وصحة المسيرة.



قاسم الحلال

إن حرية حق التنظيم النقابي ضرورة لوضع أسسٍ للتعامل بين طرفي الإنتاج (آلة الدفاع) عن حقوق الطبقة العاملة وأرباب العمل الذين يتحتم عليهم وضع قوانين منصفة وعادلة توفق مسار العمل الذي يخدم رؤية واضحة لبناء وصقل الطبقة العاملة بصفتها عصب الاقتصاد، بإعطائها الأهمية التي تستحقها كونها أساساً فاعلاً في الإنتاج، وعليه يتطلب احترامها واحترام تنظيمها ودورها في الدفاع عن القوى العاملة.

في بعض المؤسسات القطاع الخاص يوجد ما يقارب أكثر من 300 عامل، لهذا يحق لهم أن يشكلوا نقابة عمالية، نعرف أن سعي ضرب الحركة العمالية ما هو إلا تمهيداً لرفض مقترحاتها، ولهذا جاءت انتفاضة مارس 1965، وبعد انتفاضات مستمرة تأسس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، الذي حمل لواء الدفاع عن مبادئ الطبقة العاملة، حيث تتالت النجاحات واتسمت بقيادة وطنية في التيارات اليسارية والوطنية جميعاً.

هذه ذكريات أيام المناضلين العمال الشرفاء الذين وضعوا حجر الأساس لمسيرة الستينات، التي يحلم كل من يحاول عزلها عن مثابرة النضالات لحركتنا الوطنية، وعلينا نحن اليوم كعمال أن نتجاوز الحساسيات لأجل لم شمل كل أطراف طبقتنا العاملة، وللعلم لا يوجد صراع عمالي عمالي، بل من المعروف أن صراعنا يبقى صراعاً طبقياً، فقد جاءت الانتفاضة بعد قرار شركة نفط البحرين (بابكو) بتسريح 500 عامل وبالضبط في التاسع من مارس

4- إبعاد الموظفين البريطانيين من جهاز الأمن ورفض القمع.

5- تشكيل لجنة يشترك فيها العمال والطلاب للتحقيق في حوادث إطلاق النار التي أدت إلى مقتل وجرح المتظاهرين في المحرق والمنامة وستره وغيرها ومعاقبة المسؤولين.

6- تشكيل لجنة للقيام بالنظر في شؤون العمال على أن يشترك فيها ممثلون عن العمال ويتم انتخابهم بمشاركتهم في اللجنة ويكون عمل اللجنة النظر في شؤون جميع العمال وليس عمال شركة نفط البحرين فقط.

في هذه النضالات سقط أكثر من 10 من أبناء الوطن منهم عبد النبي سرحان وفيصل القصاب وعبدالله سرحان وعبدالله بونودة وعبدالله الغانم وكثيرون من أبناء وطننا، انهم شهداء لأجل الوطن الغالي، نرفع رايات الوطن اعتزازاً بموقفهم المشرف.

حيثوا خرجوا في مظاهرة حاشدة مع العمال لمدة أسابيع واستمرت حتى 9 مارس، حيث كان يقودها اليسار ضمن تحالف وطني عام تحت مسمى (جبهة القوى التقدمية)، ثم اصدر بيان في 15 مارس 1965 أجمعت عليه كل الأطياف الوطنية السياسية والتي أعلنت هويتها اليسارية التقدمية الوطنية كتوجه موحد يشمل كل أطراف الشعب، كما طرحت أهدافها.

لقد حدد في العام 1965 من شهر مارس يوم 15 أهداف الحركة العمالية:

1- إيقاف العمل التعسفي ضد العمال وإعادة المفصولين إلى أعمالهم.
الاعتراف بحق تكوين نقابات خاصة بالعمال.

2 - رفع حالة الطوارئ التي يعيشها أبناء الوطن منذ العام 1965 والسماح لحرية الصحافة وحرية التظاهر.

3- إطلاق سراح المعتقلين السياسيين والسماح بعودة المنفيين.

1965، حيث كان الاضراب العام من العمال والطلاب احتجاجاً على فصل زملائهم. ولهذا أعلن الاضراب العام تضامناً مع موظفي (بابكو)، ومن هنا ابتدأت سلسلة الاضرابات، حيث عمت المظاهرات كل أرجاء الوطن واستمرت أكثر من ثلاثة شهور، وساد التوتر في كل ربوع الوطن وشهدت أثناءها اضطرابات عنيفة في كل المدن والقرى، للأسف شهد الوطن مأساة حقيقية، حيث حينما أغلق التجار متاجرهم أعلنت الحكومة إن على جميع التجار فتح متاجرهم وإلا ستسحب سجلاتهم التجارية وسيقدمون إلى المحاكم بالرغم من استمرار الاضرابات ليومها الخامس، وكان المتظاهرين في المحرق يطالبون بإطلاق سراح المعتقلين وهم أكثر من 50 معتقل، وقد قالت القوات البريطانية أنها هي المستهدفة كون أنها تستعمر البلاد، رغم أن الاضرابات جاءت بعد ان أقدمت الشركة على فصل مئات العمال والذي تضامن الطلاب معهم ومع الحركة العمالية،

للحصول على رواتبهم المتأخرة

31 موظفاً بمستشفى خاص يتقدمون ببلاغ للنياحة العامة

مسوغ قانوني، ونظراً لامتناع المشكو في حقهم عن سداد أجور الشاكين عن الفترة من شهر يوليو 2024 وحتى شهر سبتمبر الجاري امتناعاً تاماً، فقد توقفوا جميعاً عن العمل بناء على إعلان المؤسسة المشكو في حقها شفويًا بأن المؤسسة ستتوقف عن العمل في تاريخه دون سابق إنذار أو إشعار.

«الأيام» - 20 سبتمبر 2024

وممرضون نظير رواتب شهرية تتراوح بين 4100 دينار بحريني و200 دينار بحريني، وعلى هذا الأساس بدأوا العمل لدى المستشفى لمدد تتراوح بين خمس سنوات للبعث وعدة أشهر للبعث الأخر، باتفاق على مقدار الراتب الشهري لكل موظف ومسماه الوظيفي، بموجب عقد العمل المرفق، وأضافت جابر بأن المستشفى، تأخرت في سداد الأجور لمدد بلغ أقصاها شهرين ونصف من غير

تقدم 31 طبيباً وممرضاً وموظفاً بمستشفى خاص ببلاغ جنائي ضد المستشفى ومديرتها التنفيذي بدعوى تشغيلهم عمال سخرة والامتناع عن الوفاء بأجورهم ومستحقاتهم. وقالت المحامية مها جابر، وكيلة الشاكين في البلاغ المقدم للنائب العام، إن موكلها، 31 عاملاً بالمستشفى، يعملون في مهنة الطب في مختلف المجالات، ومنهم أطباء



بنك إسلامي

يسرح عدد من موظفيه
بصورة مفاجئة

تناولت حسابات إخبارية علي وسائل التواصل الاجتماعي أنباء تتعلق بالاستغناء عن عدد من الموظفين في أحد البنوك الإسلامية العاملة في البلد، حيث أشارت إلى أن العديد من الموظفين تفاجئوا بإلغاء تصاريح دخولهم لمبنى البنك، وعدم تمكينهم من الدخول لمكاتبهم.

من جانبها، علقت وزارة العمل على تلك الأنباء بانها: «تتابع عن كثب الوضع العمالي في أحد البنوك العاملة في مملكة البحرين، وذلك في إطار حرصها على تعزيز الاستقرار الوظيفي للعمالة الوطنية وحفظ حقوق جميع العمال».

وأفادت الوزارة بأنها على تواصل مع إدارة البنك للتباحث حول إمكانية تفادي فصل الموظفين والوصول إلى حلول بديلة تكفل الحفاظ على حقوقهم وضمان استقرارهم الوظيفي. هذا وجذدت وزارة العمل التزامها بتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب العمل، وضمان حماية حقوق العمالة والحفاظ على مكتسباتهم وفق ما نص عليه قانون العمل في القطاع الأهلي.

نقابة طيران الخليج تنجح
في إعادة عدد من مميزات للعمال

احتسابها خلال السنوات الست الماضية. وقالت النقابة بأنه تم الاتفاق مع إدارة الشركة على إعادة العمل بمميزات التذاكر للمتقاعدين بعد الانتهاء من جميع الدراسات المطلوبة.

أشادت النقابة بتجاوب إدارة الشركة ودعمها للعمال وحقوقهم، من خلال الموافقة بتنفيذ بعض من مطالبنا النقابية، وشددت النقابة بانها ستعمل جاهدة إعادة العمل بالمميزات التي تم إيقافها، وتحقيق المزيد من المكتسبات العمالية التي تتناسب مع طموح الأعضاء.

أعلنت النقابة الوطنية لعمال شركة طيران الخليج إعادة العمل بعدد من المميزات للعمال في الشركة بعد نجاح النقابة في التفاوض بشأنها مع إدارة الشركة، وقالت النقابة بانها نجحت في إعادة العمل بنظام تخفيض التذاكر للأهل والأصدقاء وذلك استجابة لمطالب العاملين بالشركة، وكذلك تم الاتفاق مع إدارة المجموعة على أن تقوم الإدارة بتعويض الموظفين العاملين بنظام النوبات عن حقهم في الحصول على تعويض عن ساعات العمل الإضافي خلال شهر رمضان المبارك التي لم يتم





كاريكاتير
خالد الهاشمي



نقلًا عن حساب
الفنان على
«انستجرام»

الحماية الاجتماعية في مواجهة آثار تغير المناخ

أشار تقرير جديد لمنظمة العمل الدولية إلى أن الحكومات تفشل في الاستفادة الكاملة من الإمكانيات القوية للحماية الاجتماعية لمواجهة آثار أزمة المناخ ودعم الانتقال العادل. ويخلص التقرير أيضًا إلى أن البلدان الأكثر عرضة لآثار تغير المناخ غالبًا ما يكون لديها أدنى مستويات الحماية الاجتماعية.

ويخلص «تقرير الحماية الاجتماعية العالمي 2024-2026» إلى أن أكثر من نصف سكان العالم (52.4%) يتمتعون وللمرة الأولى بشكل من أشكال الحماية الاجتماعية. وقد ارتفعت هذه النسبة من 42.8% في عام 2015، وهو العام الذي اعتمدت فيه أهداف التنمية المستدامة.

علاوة على ذلك، يمكن للحماية الاجتماعية أن تحمي الأسر والعمال والشركات خلال فترة التحوّل الأخضر وتمكين ممارسات اقتصادية أكثر استدامة. ويشمل ذلك دعم العمال بالتدريب ورفع مستوى مهاراتهم حتى يكونوا مزودين بالمعرفة والمهارات اللازمة للعمل في القطاعات الخضراء.

العمل الدولية:

انخفاض كبير في حصة العمال من الدخل العالمي



وفاقت الأزمة العالمية التفاوتات القائمة، خصوصاً أن دخل رأس المال ما زال يتركز بشكل متزايد بين الأثرياء، وفق التقرير.

وقالت نائبة المدير العام للمنظمة سيلبيست دريك في بيان: «ينبغي على الدول اتخاذ إجراءات للتصدي لخطر انخفاض حصة دخل اليد العاملة»، وشددت على أن التقدم التكنولوجي بما في ذلك الأتمتة، كان سبباً رئيسياً للتراجع في حصة دخل اليد العاملة العالمية.

وكشفت «منظمة العمل الدولية» أن العمال يمثلون حالياً 52.3% فقط من الدخل العالمي، في حين يشكل رأس المال المكتسب من أصحاب أصول مثل الأراضي والآلات والمباني وبراءات الاختراع، النسبة الباقية.

وأكد التقرير ارتفاع نسبة الشباب العاطلين عن العمل أو لا يتلقون تعليماً أو تدريباً، مسلطاً الضوء على فجوة كبيرة بين الجنسين، إذ بلغت نسبة الشابات في فئة العاطلين عن العمل أو لا يتلقون تعليماً أو تدريباً، 28.2% أي أكثر من ضعف النسبة بين الرجال البالغة 13.1%.

تراجعت حصة العمال من المداخل العالمية، بشكل كبير خلال العقدين الماضيين، ما أدى إلى تفاقم انعدام المساواة وحرمان اليد العاملة مجتمعة من تريليونات الدولارات، بحسب ما أعلنت «منظمة العمل الدولية».

وقالت المنظمة إن حصة دخل اليد العاملة العالمي، أو نسبة الدخل الإجمالي في اقتصاد مكتسب من العمل، انخفضت بنحو 1,6 نقطة مئوية منذ 2004.

وجاء في تقرير منظمة العمل «رغم أن الانخفاض يبدو معتدلاً من حيث النقاط المئوية، إلا أنه في العام 2024 يمثل نقصاً سنوياً في دخل اليد العاملة بمقدار 2.4 تريليون دولار مقارنة بما كان سيكسبه العمال لو استمرت حصة دخل اليد العاملة كما كانت عليه منذ 2004».

ويسلط التقرير الضوء على وباء كوفيد-19 بوصفه سبباً رئيسياً للانخفاض، إذ جاء نصف التراجع في حصة دخل العمال خلال سنوات الجائحة من 2020 إلى 2022.



جعلوها أوهن من بيت العنكبوت الديمقراطية الهشة



عن الديمقراطية قال محمود درويش «هناك مثقفون عرب يتباهون بالديمقراطية القادمة على ظهر دبابة أمريكية»، وعنها قالت الأدبية احلام مستغانمي «إحلال الديمقراطية هي الذريعة التي تم تحت تسميتها تدمير أوطان عربية فتية»، وهي القائلة أيضاً: «عندما تكون الديمقراطية هبة الاحتلال، كيف لك ان تتعلم الحرية من جلادك».

الراهن، اننا استخدمناها ولازلنا نستخدمها في كل شيء، حين نتحدث عن الانتخابات والبرلمان فإننا نأتي على ذكر الديمقراطية، بل هي أول الشعارات التي تنطلق، وحين نتحدث عن السياسة وما يفترض ان ينهض به الوطن، وحين نطالب بالمساءلة والشفافية والنزاهة وبمكافحة الفساد، وحين نتطرق الى حقوق الانسان، والى واقع مؤسسات المجتمع المدني، وعن الشأن الشبابي، والملف الرياضي، وحين التحدث عن اي شيء، فان كلمة الديمقراطية تفرض نفسها ان لم تسبق كل الكلمات، وبالرغم من الاستفاضة في الحديث عن الديمقراطية في كل شأن ومجال وميدان نظرياً إلا انها تتراجع تطبيقياً وبشكل فظيع في جميع أنحاء العالم، وهذه حقيقة باتت اليوم ساطعة، لا غبار عليها ربما اكثر من اي وقت مضى، وإن وجدت تكون في الغالب الأعم ديمقراطية صورية، منقوصة، مشوهة، مضللة، معقدة، او ديمقراطية الحد الفاصل، ديمقراطية حسب ارادة اللاعبين !..

نعلم، والكل يعلم أن الديمقراطية تشهد حالة من التراجع على مدار السنوات الماضية في ظل هيمنة الاستبداد والحروب والمتغيرات والتحديات التي تحيط بنا من كل حذب وصوب وما تأكل الحريات والعمليات الانتخابية الشكلية والقيود على حرية الرأي والتعبير إلا ترجمة لهذا التراجع، لتظل الديمقراطية في جوهرها مجرد عناوين براقية وشعارات زائفة رغم أن الديمقراطية في المفهوم اليوناني تعني تقريباً حكم الشعب، وفي وثائق الأمم المتحدة تعني تعزيز حقوق الانسان، والتنمية والسلام والأمن والحكم الرشيد، وهي الحقوق التي تتعرض للهجوم في أنحاء العالم، وقمة المفارقات المضحكة والمبكية في آن واحد حين نجد ان القيود والممارسات التي تحد من الديمقراطية وتدفع بها إلى الموت سريريا وهي ترتدى لبوس الديمقراطية كقشرة تغلف وتغطي الاستبداد وتقيد الحريات، وحين يفرض عليك ليس فقط القبول بهذه الديمقراطية وان تتكيف معها

نتحدث عن الديمقراطية بمناسبة يومها العالمي الذي يصادف 15 سبتمبر من كل عام، وفي شأن هذه المناسبة قيل الكثير ومن قلب ما طرح وأثير في ساحتنا المحلية بهذه المناسبة فوجئنا بتلك التصريحات الفظة التي اطلقها العديد من المسؤولين والنواب والشوريين وكلها صبت باتجاه واحد يؤكد على "أن الديمقراطية في البحرين بلغت مستويات متقدمة في العمل الديمقراطي والممارسات الديمقراطية، وان ديمقراطيتنا تركز على ثوابت وطنية تتطور عبر الوعي السياسي"، وهناك من ذهب إلى القول إن "البحرين نموذج من النماذج المتميزة عالمياً في الديمقراطية"، كل ذلك وغيره منشور وموثق ويمكن الرجوع اليه.

لسنا في وارد التعليق على تلك التصريحات وما إذا كانت ديمقراطيتنا حقاً يشار لها بالبنان، وانها بالفعل من النماذج المتميزة عالمياً، ذلك أمر أتركه لكم، وأتمنى أن يكون بمقدور الجمعيات والمؤسسات المعنية، وفي المقدمة الجمعيات السياسية أن تتوقف بجرأة عند هذه المسألة وأن تضع النقاط على الحروف وبكل شفافية حول ما إذا كان يمكن أن نأخذ ذلك الكلام على محمل الجد، وأننا بالفعل نعيش تجربة متميزة عالمياً في الديمقراطية.

يمكن بشكل عام القول إننا لم نكن بحاجة إلى التجليات الأخيرة على كل الصعد، محلياً وعربياً ودولياً لنتيقن بأن الديمقراطية باتت مفروغة من مضمونها، وأصبح يغلب عليها الطابع الكاريكاتوري، وان الممارسات التي تستظل بالديمقراطية تتسم بالخط، بل وتمعن في تشويه الديمقراطية وتعمق حسنا بأن الكلام الرنان الطنان عن الديمقراطية ليس له حضور على ارض الواقع، ولم يعد مستساغاً اليوم الحديث عن الديمقراطية، او نزعج بوجود دول ديمقراطية، ذلك يبعث على السخرية وأصبحت مقولة "أوهن من بيت العنكبوت" تنطبق على حال الديمقراطية .

نعلم بان كلمة الديمقراطية هي من اكثر الكلمات تداولاً في واقعنا



خليل يوسف

**أي ديمقراطية يحتفي
بها العالم في وقت
يداس عليها بالأقدام في
مشاهد غير مسبوقه
في مناطق مختلفة من
العالم**



بل امتداحها والإشادة بها، وهذا وضع ليس هيئاً لا ذاته ولا في دلالاته...! بالنسبة للحالة العربية تحديداً فإنه يكفي الإشارة استناداً الى واقع الحال وما ورد في عدة تقارير بأن كثيراً من الدول العربية قابضة في ادنى مراتب مؤشر الديمقراطية، بل ضمن مستويات تنتقص من الديمقراطية وفي احسن الأحوال تجعل من الديمقراطية هجينة او استبدادية تعيش موتاً سريرياً لكثرة القيود والمحاذير والحواجز والممنوعات والانتخابات السورية، وهذا أمر يحتل مركزه في لائحة المآخذ التي تجعل التجارب الانتخابية العربية عليها أكثر مما لها، البرلمانية، البلدية، المجالس والجمعيات الأهلية وغيرها، مع ملاحظة ان هناك باحثين اعتبروا أن دول المنطقة العربية ليست ديمقراطية بشكل واضح، ولا استبدادية بالمطلق وانها تقع في المنطقة الضبابية، اي ما بين الديمقراطية الليبرالية والاستبدادية المغلقة وقد يكون ذلك منسجماً مع ما قاله أمين عام الأمم المتحدة في رسالته إلى اطلاقها بالمناسبة المذكورة حين أكد بأن الديمقراطية تتعرض لهجوم من جميع انحاء العالم، وان الحريات تنتقص، والحيز المدني يتقلص، والاستقطاب يزداد حدة، وانعدام الثقة آخذ في الازدياد...!

نعود إلى مناسبة اليوم العالمي للديمقراطية، لقد وجدنا من يتساءل، وهو محق في هذا التساؤل: عن أي ديمقراطية يحتفي بها العالم في الوقت الذي تذبح وتداس بالأقدام في مشاهد وممارسات ومواقف تنتكس كما لم يحدث من قبل في تاريخ العالم، وكأننا امام ملحمة تسطر في اغتيال الديمقراطية، وإن ذلك يحدث على مرأى ومسمع العالم...!

أليس ذلك ما يحدث في الأراضي الفلسطينية، في غزة والضفة الغربية، لقد تابع العالم كيف ان كل معاني ومفاهيم وقيم الديمقراطية وهي تسقط في الحضيض على يد الكيان الصهيوني الذي هناك من يقدمه ويظهره بصفته النموذج الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط، وكذلك الحال بالنسبة للولايات المتحدة التي كانت تقدّم نفسها بأنها راعية وحامية الديمقراطية في العالم، بل وتطالب دول العالم الأخذ بهذه الديمقراطية والالتزام بمقتضياتها، وكذلك على صعيد دول العالم الغربي التي صدعت

الكيان الصهيوني اضافة الى كل الانتهاكات البشعة التي ارتكبتها وعدم ترده لحظة في استهداف وقتل أطفال ونساء وأسر كاملة، لم يتردد إلى جانب ذلك في استهداف عمال اغاثة وسيارات اسعاف، كما لم يتردد في قتل إعلاميين من صحفيين ومراسلين وكل من يحاول نقل الصورة الحقيقية واطهار المدى الذي وصلت اليه وحشية وغطرسة هذا الكيان، وسط صمت وتواطؤ وعجز دعاة الديمقراطية ومواقف عربية رسمية مخزية...!

حقائق مرّة بالتأكيد، والحقيقة الكبرى التي يجب ان نعيها بعيداً عن شيطان التفاصيل ان هناك من جعل الديمقراطية حق يراد به باطل، خاصة حين النظر الى جوهر الديمقراطية، وأساسيات هذا الجوهر وفي المقدمة منها احترام حقوق الانسان وحرية وكرامته الإنسانية واعتبارها حقاً أساسية لا يجوز المساس بها، ولنتذكر، ونذكر بهذه الحقيقة على الدوام في وقت نحن في امس الحاجة إلى تنشق شيئاً من هواء الديمقراطية الحقة .

المستويات...! جانب آخر من جوانب ضرب الديمقراطية في الصميم، حين وجدنا بعض الدول الأوروبية التي تحمل راية الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير وتدعو إلى توطيد أركان تلك المفاهيم في دول العالم وهي تتعامل مع الاحتجاجات العارمة في أراضيها إحتجاجاً على كل الفظائع وكل أشكال الهجمة التي حدثت ولا تزال تحدث في الأرض الفلسطينية ومحاولاتها إسكات صوت الحق الذي نادى به المحتجون، وهي الاحتجاجات وبالقمع واقتحام الجامعات واعتقال الطلبة وتفكيك مواقع الاعتصام وشكلت صدمة حقيقية لكل مفاهيم الحرية والديمقراطية وامتدت المهزلة الى فصل او توقيف أكاديميين وغيرهم من أعمالهم بتهمة مواقفهم المهادنة أو المساندة لتلك الاحتجاجات أو لوقوفهم أو تعاطفهم معها وإعلان رفضهم للإبادة الجماعية لغزة واهلها، مما شكل ذلك مستجد في منتهى الأهمية لكونه مثل صحوه تنتشر بحقيقة القضية الفلسطينية...!

رؤسنا بالحديث عن الديمقراطية و بأنها "ترسانة الديمقراطية"، لقد وجدنا تلك الدول وبصورة بالغة الفجاجة والوقاحة وهي تنحاز إلى همجية ووحشية الكيان الصهيوني وتمدّه بالأسلحة والعتاد، وتعرقل المحاولات التي تستهدف مسائلة ذلك الكيان في المحافل الدولية، الأمر الذي جعل الديمقراطية تصاب على يدهم بنكسة قاسية جداً ذهب البعض إلى حد وصفها بأنها قاضية...!

يعنى ذلك وبصورة جلية ان أقنعة الديمقراطية سقطت في معاقلها، وما كشفت عنه الفظائع والمجازر التي ارتكبتها الكيان الصهيوني في الأراضي الفلسطينية اكدت ذلك، لا ديمقراطية، ولا حقوق إنسان، ولا إنسانية، كما أن مواقف تلك الدول الداعمة بمختلف أشكال الدعم وبلا هوادة لكل ذلك الفلتان والهمجية من جانب ذلك الكيان والتي وصلت إلى حد المشاركة المباشرة في ارتكاب جرائم الإبادة بما قدمته تلك الدول من أسلحة وعتاد ودعم سياسي وإعلامي وتزوير حقائق ووقائع عديدة، وهي مواقف لاتزال بلا شك ماثلة للجميع على كل

عالمنا العربي في مهيب الريح

ثمة أسئلة عديدة مكتومة ومعلنة، لازال يطرحها المتابع للمشهد السياسي العربي، وتحديداً منذ فجر السابع من أكتوبر الماضي، أي منذ قرابة العام تقريباً، جل تلك الأسئلة بكل أسف تترك إجاباتها معلقة ولا تتم حتى ملامستها أو مجرد محاولة الاقتراب منها، ربما خوفاً من انكشاف حجم التراجع المدل للمواقف العربية في مختلف الساحات والمحافل وعلى مختلف الصعد، إلا أن ذلك في حقيقته يكشف لنا بوضوح البون الشاسع بين طموحات ما نستطيع أن نطلق عليه مزاجا الشارع العربي بتشعباته وتعدديته من جهة، وتوجهات السياسات الرسمية العربية في غالبيتها الأعم.

في خضم كل ذلك يبقى المشهد العربي الرسمي خارج دائرة الفعل الإيجابي بشكل مقنع أو حتى برامجاتي على الأقل بالنسبة للمتابع العربي. خجولة هي تلك البيانات والتصريحات الصادرة عن القمم والاجتماعات الرسمية العربية، وما أكثرها! وهي في كل الحالات لم تعد مقنعة أبداً في قبالة ضراوة حدة الصراع القائمة، في حين تسود حالة مكبوتة من الغضب الشعبي حيال ما يجري في غزة من مجازر بشعة وابتداء جماعية لم تتوقف على مدار عام حتى الآن، فيما يعيث الصهاينة وآلة حربهم المدعومة علنا وبقوة من قبل الإمبريالية الاميركية ودول الناتو، يعيثون فساداً وتدميراً للحجر والبشر وتمتد ايديهم المجرمة لبقية مدن وقرى الضفة الغربية غير مكتثرين بحجم الدم الفلسطيني المسفوك او حتى لاتفاقيات والتزامات دولية هي بمثابة حبر على ورق! فها هم يعدون العدة لتدمير جديد للبنان الجريح الممزق المنقسم بفعل تدخلاتهم المقيتة، فيما يسرق النفط السوري ويتم الاستناد لقوى وتيارات مصطنعة مثل داعش واخواتها للإجهاز على ما تبقى لعالمنا العربي ودولنا من كرامة وسيادة. وفي ظل ما يجري من حولنا وما بنتاب عالمنا الأوسع من مخاوف حقيقية، وفي أوقات عصيبة يعيشها شعبنا الفلسطيني واللبناني، هل يكفي أن يبقى الجانب الرسمي العربي متفرجاً دون اكرثات، وهل يكفي أن يتم تجاهل القلق الحقيقي الذي بات يهدد ليس الشعب الفلسطيني أو اللبناني وحدهما، بل هو يهدد كامل هويتنا وسيادتنا وكرامتنا العربية والإنسانية معاً، فيؤر الدمار المشتعلة في منطقتنا لن تستمر إلى الأبد، لكنها تبقى مسؤولية الأنظمة العربية مجتمعة وفردى في الحفاظ على ما تبقى لهذه الأمة من كرامة واحترام، ولنتعظ جيداً بما تقوم به دولة مثل جنوب أفريقيا من دور بارز لتحقيق العدالة على مستوى العالم، والذي اكسبها احترام شعوب العالم بفضح جرائم الإبادة الجماعية التي يقوم بها الصهاينة واعوانهم ضد شعبنا المقاوم في غزة وحالياً ضد شعبنا اللبناني الصامد وما يجري من مؤامرات ضد الشعب السوداني وما ينتظر دولاً مثل مصر والعراق واليمن من مؤامرات تطبخ على نار تبدو هادئة احياناً ومشتعلة أحياناً أخرى، والتي تعدنا جميعاً أنظمة وشعوباً بمآلات المثل المأثور..أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

ولنتفق بداية أن ما أحدثه طوفان الأقصى منذ السابع من أكتوبر، من زلزال مدو لا زالت تداعياته تفرض نفسها بقوة على كامل المشهد السياسي العربي، والى حد كبير المشهد السياسي في العالم بأسره، حيث تتراجع تداعيات الحرب الاوكرانية الروسية ويتوقف الحديث ولو مؤقتاً، عن متابعة حالة الصراع هناك، ويخفت الحديث قليلاً عن متابعة حالة الصراع المحتدمة بين الصين كقوة اقتصادية كبرى في قبالة طموحات الولايات المتحدة والغرب بإيقافها أو إعاقته على اقل تقدير، فيما تتربص روسيا والهند وبقية دول مجموعة البريكس كقوى صاعدة تمتلك من التطلعات الكثير باتجاه تعزيز حضور التعددية القطبية، الذي بات تطلعاً مشروعاً بالنسبة لشعوب دول العالم للجم وتحجيم هيمنة الإمبريالية الأميركية واحتكاراتها وأدواتها والدول التابعة لها على مقدرات عالمنا الذي اصبح بحق ساحة كبرى من الصراعات والمؤامرات المتوالدة، والتي أضحت بسببها عالمنا على حافة حرب كونية ثالثة يعتقد الكثير من المراقبين أننا بتنا اقرب اليها من أي وقت مضى.

وفيما يتلاشى الحديث تدريجياً عن دور أكبر للأمم المتحدة وتغيب قضايا المناخ واهداف التنمية المستدامة والتزامات دول العالم تجاه ما سبق وتوافقت عليه أو التزمت به من معاهدات ومواثيق، يبقى عالمنا العربي وحده الاستثناء المهمش تقريباً على الرغم مما نمتلكه من إمكانيات وموارد وثروات بشرية ومادية ضخمة، وموقع جيوسياسي مميز، علاوة على أنه لازال متموضعاً في قلب الصراع العالمي المحتدم حالياً وربما بسبب كل ذلك! وهو موقع يفترض ان يؤهله للعب دور اكبر في خارطة السياسة الدولية، إلا انه يبقى وكأنه خارج السياق والاهتمام والتأثير.

نتفهم جيداً أننا ويفعل ما جرى لنا كأمة عربية وما جرى للعالم كذلك، من تحولات كبرى خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، على الأقل، حيث الكوارث والحروب والمؤامرات والتدخلات، والتغيرات في موازين القوى العالمية التي غيرت كثيراً بكل تأكيد من طبيعة ونوعية الصراع المحتدم في المنطقة تحديداً وفي العالم من حولنا، والذي لم يتوقف يوماً، وان تراجعت بؤر وتموجات قوته تبعاً لما تفرضه مصالح واستراتيجيات القوى المتصارعة من حولنا.



عبد النبي سلمان



بصراحة



فاضل الحلبي

عامٌ من الإبادة الجماعية في غزة

فالتسويات السياسية جميعها فشلت بما فيها اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣، فالتسوية الحقيقية التي يتطلب منها أولاً إزالة الاحتلال الصهيوني وقيام الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وهو آخر احتلال أو استعمار في القرن الواحد والعشرين ولا زال جاثماً على رقاب الشعب الفلسطيني، يفعل ما يحلو له دون عقاب أو رادع، ولا يلتزم بالقرارات الدولية الصادرة من مجلس الأمن الدولي التابع لهيئة الأمم المتحدة، ليس خلال هذا العام ٢٠٢٤، بل منذ تأسيسه في عام ١٩٤٨، ستة وسبعون عاماً وهو يمارس أبشع الجرائم والمجازر الدموية بحق الشعب الفلسطيني.

ولكن ما جرى على الشعب الفلسطيني في غزة منذ عام فاق كل المجازر والمذابح التي قام بها الكيان الصهيوني في الماضي. لقد قتل وجرح أكثر من مائة وخمسين ألف فلسطيني، ودمر البنية التحتية، ولم يعد ثمة مكان آمن للعيش في غزة، نحن أمام مذبحه دموية يقتل فيها الإنسان ويدم بارد ويشاهد أحداثها الملايين من البشر بشكل يومي دون أن يفعلوا شيئاً، ولا يستطيعون وقف حمامات الدماء التي تسيل وبغزارة في غزة، والنازيون الصهاينة قادة الكيان وزعيمهم تنتيهاو لا يريدون وقف إطلاق النار والاتفاق على هدنة في غزة، لكيلا يتنفس الصعداء الشعب الفلسطيني.

وما يجعلهم يواصلون المجازر الدموية التواطؤ الأمريكي الإمبريالي والأوروبي مع القتل الصهاينة، والتخادل والصمت من قبل قادة النظام الرسمي العربي، فيما الشعوب العربية مغلوبة على أمرها، ففي أغلبية البلدان العربية تمنع وتقمع التظاهرات والاحتجاجات الجماهيرية المؤيدة للشعب الفلسطيني. قلة فقط من شعوبنا وبلداننا التي تتظاهر فيها الجماهير العربية وبشكل أسبوعي، بما في ذلك بلدنا البحرين تنظم المسيرات والاعتصامات أسبوعياً ولا زالت مستمرة،

بالمقابل يخرج الآلاف في البلدان الأوروبية وأمريكا في التظاهرات دعماً لنضال الشعب الفلسطيني وضد الإبادة الجماعية التي تقوم بها قوات الاحتلال الصهيوني.

من الأهمية التأكيد على الدعم والمساندة التي تقوم بها المقاومة في لبنان وتقدم تضحيات كبيرة، وتدفع الثمن غالباً حيث تم اغتيال المئات من أعضائها بما فيها قادة وكوادر عسكرية بارزة في المقاومة من قبل قوات الاحتلال الصهيوني، ففي السابع عشر والثامن عشر، والتاسع عشر والعشرين من شهر سبتمبر الماضي ارتكب الكيان الصهيوني عملاً إرهابياً كبيراً عندما فجر أجهزة البيجر، وأجهزة الاتصال اللاسلكي، وقصف طيرانه الحربي بنايتين في الضاحية الجنوبية من بيروت. لقد سقط، نتيجة كل ذلك، المئات بين قتيل وجريح، ولم تفعل القوى الدولية شيئاً يذكر، والنظام الرسمي العربي كعادته لزم الصمت، لأن بيانات الإدانة الصادرة عنه لا تقدم ولا تؤخر، في ظل تواطؤ دول عدة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، وبعض الدول العربية مع الكيان الصهيوني، ولكن لو حدث ذلك أقل بكثير من هذا



حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي، مما يشجعه على مواصلة قتل الفلسطينيين، فهو يعرف مسبقاً لا عقاب سيطاله.

ليس أمام الشعب الفلسطيني البطل، بعد التجارب المرة التي عاشها سوى النضال والمقاومة لاسترجاع حقوقه المشروعة ودحر الاحتلال الصهيوني وإقامة الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وعلى الشعوب العربية وقواها السياسية وأحرار العالم مواصلة تقديم الدعم والمساندة لإنجاز مهمته الوطنية في التحرر الوطني وإنهاء الاحتلال الصهيوني.

أما الدول العربية المطبّعة مع الكيان الصهيوني فعليها الإنصات لمواقف شعوبها الراضة للتطبيع والتي تطالب بإغلاق السفارات وطردها السفراء من بلداننا، وعلى الدول العربية المجاورة لقطاع غزة فتح المعابر لتقديم المساعدات الإغاثية الطبية والغذائية، فهذا أقل شيء تستطيع تقديمه للشعب الفلسطيني في ظل هذا الإجرام الصهيوني غير المسبوق في التاريخ المعاصر.

الفاعل الإجرامي في أوكرانيا لقامت الدنيا ولم تقعد، وجرى تجيش دول العالم ضد روسيا وفرض مزيد من العقوبات عليها. إنه الكيل بمكيالين من قبل الإمبريالية الأمريكية وحلفائها.

لم تكف قوات الاحتلال الصهيوني بقتل الفلسطينيين في غزة وتدميرها، ولكنها اليوم تجتاح المدن والقرى الفلسطينية في الضفة الغربية وتقتل المقاومين الشجعان الذين يتصدون لها بكل شجاعة وبطولة بالرغم من قلة الذخيرة وشح الأسلحة التي لديهم. تدمر البيوت والشوارع في تلك المدن والقرى الفلسطينية، وترك عصابات المستوطنين تعبت وتعتدي على الفلسطينيين بما في ذلك على بيوتهم ومزارعهم، لم تتوقف تلك الاعتداءات الصهيونية، ولا تلزم القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بما فيها الأخيرة التي تؤكد عدم شرعية الوجود للاحتلال الصهيوني وعليه الخروج من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولكنه لا يعير أي أهمية لها، فهو يخرق القوانين والتشريعات الدولية ويفعل ما يشاء، طالما ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدافع عنه وتستخدم

موقفان .. مخجل ومشرف

قدّمت دولة جنوب إفريقيا طلباً رسمياً إلى محكمة العدل الدولية في 29 ديسمبر 2023 لمحاسبة إسرائيل وجيشها على أعمال الإبادة الجماعية في قطاع غزة وسقوط الآلاف من الضحايا المدنيين العزل بسبب القصف الإسرائيلي وأعمال التهجير القسري للفلسطينيين من بيوتهم.

حكومات عربية نفسها في موقف معقد. فمن جانب توجبت عليها مراعاة التوجه الشعبي المساند دائماً للفلسطينيين. وبالمقابل فهي مضطرة لمراعاة سياساتها الخارجية والتزاماتها الدبلوماسية حيال مسألة التطبيع مع إسرائيل. لقد أصدرت محكمة العدل الدولية فتواها، واستنتجتها واضحاً لا لبس فيه: إنّ احتلال إسرائيل وضمها للأراضي الفلسطينية غير قانونيين، وقوانينها وسياساتها التمييزية ضد الفلسطينيين تنتهك الحظر المفروض على الفصل العنصري والأبارتهايد. وهذه هي المرة الأولى التي تصدر فيها محكمة العدل الدولية موقفاً بشأن ما إذا كان «الاحتلال المستمر منذ 57 عاماً غير قانوني». ورغم أن هذا الرأي استشاري إلا أنه قد يكون له تأثير أكبر على الرأي الدولي في السنوات القادمة. بغض النظر عن قرار محكمة العدل الدولية سواءً القرار الإجرائي بوقف الأعمال القتالية، أو المضمون بإدانة إسرائيل بجريمة الإبادة الجماعية، فإنّ المرافعة المتقنة التي قدمتها جمهورية جنوب إفريقيا أمام المحكمة، بل أمام العالم، فضحت بشكل مكثف ممارسات الحكومة الإسرائيلية. شكراً جنوب إفريقيا شعباً وحكومةً لأنكم انتصرتم للإنسانية ولأنكم سعيتم لتحقيق العدالة الدولية، ولأنكم حاولتم منع إفلات الحكومة الإسرائيلية من العقاب.

بالمقابل إن استمرار الموقف الرسمي العربي بصمته وعجزه عن ما يجري من حرب إبادة وجرائم بشعة يشنها العدو الإسرائيلي بحق غزة وأهلها، لهو خذلان وموقف عار سيّدون في سجلات التاريخ.

ليس غريباً على دولة جنوب إفريقيا هذا الموقف الإنساني المشرف، فهي التي تحملت لسنوات عديدة نظام الفصل العنصري، كما أنها أكثر الدول معرفة باضطهاد دولة لدولة أخرى أو لشعب آخر، ولذلك ما تقوم به بمثابة خطوة مهمة وتؤكد الارتباط الوثيق بين الدول الأفريقية والدول العربية، وخصوصاً القضية الفلسطينية.

يوماً بعد يوم، تتزايد عدد الدول التي تنضم أو تعلن التزامها الانضمام إلى القضية التي رفعتها دولة جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية لإدانة الاحتلال الإسرائيلي وكشف مساعيها للإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. سيسجل التاريخ أسماء الدول التي بادرت في الانضمام إلى دعوى جنوب إفريقيا، من بين هذه الدول: نيكاراغوا، تشيلي، إسبانيا، المكسيك، إيرلندا، بلجيكا، إيران.

بعد اختتام محكمة العدل الدولية جلسة الاستماع الأولى في قضية جنوب إفريقيا ضد إسرائيل، أثارت القضية جدلاً في العالم العربي حول سبب عدم انضمام الدول العربية إلى جنوب إفريقيا في المحكمة، أو عدم رفع أي دولة عربية قضية مماثلة في محكمة العدل الدولية أو المحكمة الجنائية الدولية. قد تزعم العديد من الدول العربية أن لديها تفسيراً معقولاً لتجنب مثل هذه الخطوة القوية. وفي الواقع أن الخوف من العواقب المحتملة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية وتحدي موقفهم الداعم بالمال والسلاح لإسرائيل هو ما يمنعهم.

من جانب آخر فمنذ بداية الحرب في غزة وجدت عدة



جلال إبراهيم

**المرافعة المتقنة
التي قدمتها جنوب
إفريقيا أمام
محكمة العدل، بل
أمام العالم، فضحت
بشكل مكثف ممارسات
الحكومة الإسرائيلية**



الفساد السياسي في بلاد العرب

تختلف ماهية الفساد السياسي وتتعدد مظاهره بين بلد وآخر، إلا أنه وفي كل الأحوال فهو يعني فساد طبقة الساسة الحكام وقادة الأحزاب والنخب الحاكمة، أيًا كان موقعهم أو انتماءاتهم السياسية، حين يقوم هؤلاء بالتواطؤ باستغلال مواقع النفوذ السياسي لتوجيه القرارات والسياسات والتشريعات، لتحقيق مصالح خاصة بهذه الطبقة، أو أحد أطرافها أو الموالين لها، والإثراء غير المشروع من السلطة، أو الحصول على أموال غير قانونية لزيادة النفوذ المالي والاجتماعي، أو لتمويل حملاتهم الانتخابية، لتسهيل الحصول على الرشاوى وتشريعها، مقابل منح استخدام أو امتلاك أراضي الدولة أو عقود وامتيازات أو تراخيص أو موافقات تجارية، إذ تصبح الخزينة العامة حسابًا بنكيًا خاصًا بهذه النخبة، بما يشمل من مغالاة في الصرف على أمور ترفيحية ذاتية، ترافقها كذلك عمليات تهريب للأموال العامة وبشكل سري إلى البنوك، أو استثمارات خارجية.



فهد المضكي

الحصانات وضعف البرلمانات ومسؤولي الرقابة أو القضاء بسبب التبعية الوظيفية، وبالتدريج يتحول إلى نظام سلطوي لا يحترم الفصل بين السلطات، حتى وإن حافظ على مظاهر النظام الديمقراطي، التي تغدو شكلية مثل الانتخابات الرئاسية والتشريعية، وغالبًا ما تصوغ دستورًا للدولة، يكرس سيطرتها على مقاليد الحكم في الدولة. ويترتب على الفساد السياسي العديد من النتائج المدمرة، وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها: تراجع دور الشعب ومشاركته في الشؤون العامة؛ وهو ما يؤدي بدوره إلى تراجع مفهوم المواطنة وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وتقلص دور الطبقة الوسطى لصالح نخب حزبية أو عسكرية أو أمنية أو قطاع خاص أو ممثلي طوائف، فالفساد السياسي يؤدي إلى سيطرة مجموعة صغيرة على مختلف مناحي الحياة. ومن ثم تصبح المشاركة في الحياة العامة في ظل هذه المجموعة عملية زائفة؛ الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف شرعية النظام السياسي، وتقويض أسس الديمقراطية والحكم الرشيد، والنيل من سيادة القانون واستقلال القضاء، وتزييف الانتخابات وغياب الرقابة والمساءلة، وتشويه الجهاز الإداري للدولة نتيجة لاستبعاد الكفاءات، بسبب اعتماد الفئوية والطائفية والعائلية أساسًا للتعيينات الحكومية، لاسيما في الوظائف العليا.

كما يترتب على الفساد السياسي زيادة الفئات الفقيرة والمهمشة، وتغذية التطرف، وتراجع مستوى الخدمات الأساسية المقدمة للمواطنين؛ نتيجة السيطرة على المال العام ونهبه وتهريبه إلى الخارج من قبل فئة مننفذة تسيطر على مفاصل النظام السياسي. إن الفساد السياسي يشكل تهديدًا للديمقراطية وحكم القانون، وتحديداً في البلدان النامية التي تمر في مراحل انتقالية كالحالة العربية، إضافة إلى العديد من النتائج المدمرة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهو ما أسهم في تفجر الحركات الاحتجاجية في العديد من الدول العربية.

إن الدولة التي يتفشى فيها الفساد السياسي يطلق عليها (دولة الحرامية) حيث يتم من خلال الفساد السياسي زيادة ثروة المسؤولين والنخب الحاكمة على حساب الشعب بأكمله، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال نهب المال العام.

ما ذكرناه مقدمة لدراسة عن الفساد السياسي في العالم العربي، نُشرت على موقع المؤسسة الفلسطينية (الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة أمان).

وما هو جدير الوقوف عنده تلك الرؤية التي تشير إلى، أنه في كثير من الأحيان تنجح النخب الفاسدة في السيطرة على مراكز اتخاذ القرار في معظم مؤسسات الدولة، بما فيها ضمان احتواء قرار الأغلبية البرلمانية، وتصويبه لصالحها، وتوجيه قرارات بعض القضاة أو مسؤولي أجهزة الرقابة العامة، وأحيانًا وصول الموالين لهم إلى مراكز أهم مؤسسات المجتمع العامة، بما فيها الإعلام والمؤسسات التمثيلية المهنية والجمهيرية. وتلتقي هذه المجموعات، وتتقارب وتتداخل مع بعض رموز وقيادات القطاع الخاص، هذا التشابك والتحالف وتبادل المصالح والمراكز بين نشطاء هذه الطبقة يمكنها عملياً من اختطاف مؤسسات الدولة، وهو ما يجعل عملية مقاومتها أو التصدي لها بهدف التغيير بالوسائل التقليدية أمراً غير ذي جدوى.

وغالبًا ما تنجح هذه الطبقة في بناء القطاع الأمني وتشكيله على شكل أجهزة قوية، تدافع عن النظام الحاكم، وعن الموالين له باعتبارهم رمزًا للدولة، مقابل ضمانات وامتيازات لمسؤولي هذه الأجهزة، وغالبًا ما يخترط هؤلاء في إطار هذه الطبقة كمشركاء أساسيين.

ويواكب الفساد السياسي غالبًا استخدام السلطة التعسفية للصلاحيات الممنوحة لأي طرف من أطراف النظام السياسي؛ لتحقيق أغراض ومصالح تختلف عن الغرض الذي على أساسه منح النظام هذه القوة، حيث يصبح نظامًا شموليًا، يسيطر على تفاصيل ومواقع صنع القرار السياسي والاقتصادي، ولا يخضع هذا النظام أو قراراته لأية مساءلة قانونية، أو مساءلة شعبية، أو رقابة خارجية، بسبب

الكولونيلية الجديدة

في سبعينات القرن الماضي بدت الحركة الكولونيلية في العالم كأنها أصبحت إلى حد كبير ذكرى من الماضي، بعد حركة الاستقلالات الواسعة التي عرفتها الدول الآسيوية والإفريقية، التي خضعت لفترات متفاوتة من الاستعمار، من قبل إمبراطوريات ودول أوروبية، امتدت بعض تلك الفترات لقرون، كما في الاستعمار البريطاني للهند. وبدأت العلاقات بين الدول المستقلة ومستعمرها القديم تدخل في طور جديد، وعلاقات فيها مستوى ما من الندية، كانت في بعض الحالات ندية شكلية، وفي حالات أخرى تستند إلى تطور اقتصادي وتنموي وسياسي للبلد المستقل.

المنظومات الإقليمية نفسها، بعد تراجع هيمنة الدول الأوروبية. لكن مرحلة الهدوء والاستقرار النسبية التي عرفتها الدول الوطنية بعد الاستقلال، راحت تهتز على وقع انفراط عقد النظام الدولي ثنائي القطبية، وصعود موجة العولمة في مطلع التسعينات من القرن الماضي، ونشوء الشركات العابرة للقارات والجنسيات، وتنامي حركة الرأسمال المالي، ممثلة بالمصارف والبورصات العالمية، وكذلك صعود الرأسمالية الرقمية، التي أصبحت إحدى أهم أدوات الحركة الكولونيلية الجديدة، إذ تهيمن الولايات المتحدة، بشكل أساسي، على منظومات دولية كبرى، من خلال الشركات الرقمية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تدير من خلالها شبكة مصالحتها عبر العالم، بالإضافة إلى تنامي القوة العسكرية الأمريكية بشكل غير مسبوق في تاريخ البشرية، ما يتيح لها مجالات هيمنة جوية وبحرية وبرية في جميع القارات.

هذه القوة التفجيرية الهائلة للنظام العولمي الجديد، أوجدت تحديات من نوع جديد أمام الدولة الوطنية، وأوجدت في الوقت نفسه فلسفة سياسية جديدة للقوى الرأسمالية، تقوم على تراجع مكانة الاستقرار، لمصلحة مفهوم إدارة الفوضى، وبالتالي، بات بالإمكان تجاهل عمليات تفتيت الدولة الوطنية، طالما كان بالإمكان إدارة ما ينتج عن عملية التفكيك من فوضى، وتحقيق فوائد أكبر، لمصلحة النظام الرأسمالي الجديد. الأمر ليس بحاجة إلى كثير من التحليل لفهم تجاهل الولايات المتحدة والغرب الأوروبي لعملية تفكك عدد من الدول في الشرق الأوسط وغيرها، والانتقال من مرحلة التعامل مع دول وأنظمة سياسية، إلى إدارة ما نجم من فوضى، وضبط حركة وصراعات القوى المحلية، والاستفادة من مجمل التناقضات القائمة، لإيجاد نوع جديد من الكولونيلية، التي تدمج بين أساليب الكولونيلية القديمة، وأساليب الموجة العولمية. هذا النمط الكولونيالي الجديد، فتح شهية عدد من الدول التي تمتلك مقومات وأدوات كولونيلية، وترى أنها قادرة على الاستفادة من تفكك بعض الدول الوطنية، للانخراط في العملية الكولونيلية، على الرغم من افتقادها إلى الكثير من عناصر الريادة الرأسمالية. وخلال السنوات القليلة الماضية، نمت حركات استعمارية جديدة في الشرق الأوسط، على إيقاع تراجع مبدأ سيادة الدول على أراضيها، وتحول الصراعات الداخلية إلى صراعات إقليمية، في الوقت ذاته، شهدت بعض الدول الإفريقية انقلابات عسكرية، عكست صراعات العلاقات الدولية، إذ يجري استبدال علاقات الهيمنة مع الغرب لمصلحة علاقات هيمنة جديدة، مع كل من روسيا والصين اللتين يبدو أنهما وجدتا مكاناً جيداً لخوض صراع سياسي واقتصادي طويل مع الغرب.

وقد لعب النظام الدولي، ثنائي القطبية، الولايات المتحدة والغرب من جهة، والاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية من جهة أخرى في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ونشوء ما عرف بـ «الحرب الباردة»، دوراً في ترسيخ الاستقلال، خصوصاً الدول التي ساندتها الاتحاد السوفييتي، لتأكيد استقلاليتها عن المحور الغربي، الذي دفع باتجاه سحب الدول من المعسكر الاشتراكي إلى حظيرته.

الحركة الكولونيلية التي بدأت فعلياً في القرن الخامس عشر، نشأت بوصفها إحدى الديناميات العسكرية والاقتصادية للتطور الصناعي، للحصول على المواد الخام، وإنشاء أسواق واسعة، وبحلول بدايات القرن الماضي كانت القوى الاستعمارية الأوروبية قد سيطرت بشكل مباشر على أكثر من 80% من العالم، واضعة بلداناً وشعوباً بأكملها تحت سيطرة ونهب واستغلال عدد من البلدان الأوروبية، التي كانت تقود حركة التطور الرأسمالي العالمي، وتأكيد سيطرة التفوق الأوروبي على مجمل بقاع الأرض، وذلك من خلال منظومة اقتصادية عسكرية وسياسية صارمة، محورها ومركزها الغرب الأوروبي، فيما تشكلت الدول الواقعة تحت الاستعمار الأطراف والهوامش، أي أنها مجرد موضوع للذات الأوروبية.

الكولونيلية الأوروبية، التي تطورت في داخلها منظومات فكرية عدة، أو ما عرف بـ «سياق التنوير»، الذي جاء ليقلص من نفوذ السلطات السياسية والمؤسسية القديمة، المرتبطة بمرحلة الإقطاع الأوروبي، لمصلحة الطبقة الرأسمالية الصاعدة، أنتجت في الوقت نفسه رؤية معاكسة لهذا السياق التنويري بما يخص الدول التي استعمرتها الدول الكولونيلية، فقد نظر إليها بوصفها جماعات أهلية في معظم الأحيان، ذات ثقافات متخلفة، وتحتاج إلى من يديرها من خارجها، ويشرف على شؤونها الداخلية. هذا الأمر أنتج عملياً نظام المستعمرات الإداري، الهدف منه، ليس فقط تسيير شؤون تلك «الجماعات»، وإنما منع قيام أي تطور سياسي مضاد للحركة الكولونيلية، وإيجاد قوى محلية، ترتبط مصالحها المباشرة ووجودها من خلال القوى الاستعمارية.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ونشوء نظام ثنائي القطب في العلاقات الدولية، وتأسيس الأمم المتحدة في عام 1945، انطلقاً من مبدأ «سيادة الدول على أراضيها»، أو ما يعرف بمبدأ «ويستفاليا»، تسارعت حركة الاستقلالات في عدد من قارات العالم، خاصة آسيا وإفريقيا.

وخلال عقدين من الزمن، كانت معظم الدول الخاضعة للاستعمار قد نالت استقلالها، ومضت في مشروع بناء الدولة الوطنية، وبناء مقومات الاستقلال الذاتي، السياسية والاقتصادية والثقافية، والتوازن في بيئتها الإقليمية، مع نشوء صراعات هيمنة من طبيعة مختلفة، ضمن



حسام ميرو

الحركة الكولونيلية التي بدأت فعلياً في القرن الخامس عشر، نشأت بوصفها إحدى الديناميات العسكرية والاقتصادية للتطور الصناعي



علامات توظيف الدين والمعرفة من أجل الهيمنة

عندما وصلت طلائع المستعمرين الى مناطقنا كانت مثقلة بأفكار المركزية الذاتية وسمو العرق وتقدم الحضارة وأفضلية العقل، جاءت لتستحوذ على عوالمنا بلاحضارة ولاهوية ولاثقافة، جاءت بهذه العقيدة مثل الغزو، غزو عسكري وفكري، بسلاحيين: المدفع وبعثات التبشير بالمسيحية والمذهب الكاثوليكي غالباً. المدفع نتفهم دوره في احتلال الدول وإخضاع الأمم ولكن ما هو دور المبشرين بالدين المسيحي المتزامن مع الحملات الإستعمارية؟ لماذا لم يأت المستعمر بقيم العقد الإجتماعي والحرية والمساواة والمفاهيم التي كانت في ذلك الوقت - منذ مطلع القرن الثامن عشر- قد حددت من سلطة الكنيسة وتخلصت الى حد كبير من هيمنتها؟ كان للمبشرين في الخليج دور هام لايمكن نكرانه في ما يتعلق بالرعاية والمجال الطبي وهو ما أثار إعجاب العرب المسلمين، مع ذلك فإن «العرب المسلمين كانوا غير مستعدين لاستقبال الدعوة للمسيحية بقدر ما كانوا متشوقين الى الخدمات الطبية والتعليمية التي تقدمها بعثات التبشير» (حادثة ظهرها الى الجدار/حسن مدن 110).

عن مبدأ المركزية والأفضلية العرقية والعقائدية على الشعوب الأخرى ولذلك بعد تاريخي متأصل عند الغرب منذ أيام الحضارة الرومانية التي كانت تسيطر على كامل أوروبا وامتدت رقعتها الجغرافية حتى اسيا، وانطلاقاً من الإمبراطور قسطنطين بن هيلانة (306-337) تحولت روما الى الدين المسيحي الباباوي وأصبحت سلطة الكنيسة توازي سلطة الإمبراطور الى أن فاقت الكنيسة الإمبراطور وتعدته وكانت قد رتبت نفسها ترتيباً هرمياً متطابقاً مع التنظيمات والتشكيلات السياسية، ففيها رجال حماية وتاج وتشريفات وبلاط وجيش خاص وجباية ضرائب. مع ظهور فكرة الاستعمار التي كانت تغذيها الوطنية وروح الانتماء الغربي وحب السيطرة، وجد الاستعمار في المؤسسة الدينية الباباوية ما يخدم مصالحه السلطوية الكوزمبوليتانية، وكرّد فعل جهود الكنيسة واعتقاداتها التي تدعم مركزية الدينية - التي حاربها سياسياً واجتماعياً وافرغ سلطتها محلياً. تبني الاستعمار الكولونيالي السياسي التدميري فكرة التبشير بالمسيحية ليس حبا بالمسيح إنما هوساً مريضاً بالهيمنة والمركزية، ولاحقاً عندما سيفشل في مشروعه سيأتي بالتبشير التنويري.



حسين آل ربيع

من مساوئ التنوير المستعار الذي عمد الغرب تسويقه لشعوبنا وبيعه كالأطعمة المعلبة والجاهزة أنه قد يسلب الإنسان أعز شيء يشكله في الوجود: هويته؛ أن ينسلخ من هويته ومجتمعه وثقافته ينظر إليها نظرة السوء والإزدراء ولا يرى في الغرب إلا النموذج والمثال الأعلى للقيم الإنسانية والجمالية حصراً. لكن في المقابل كيف يراه ويرانا ذاك الغربي المعمر! لاشك أنهم قطعوا مشواراً طويلاً في الحضارة إلا أننا في نظرهم أشباه إنسان أو شبه أوروبيون أو محليون كما يقول سارتر: «خمسائة مليون إنسان (أوروبي) ومليار وخمسة مائة مليون محلي (شبه إنسان)» ويقول إرنست رينان: «إنهم عرق عمال وكدح بدني» هكذا يسجلون ملاحظاتهم عنا وأكثر.

المعرفة عالمية تنتقل عبر الأمم بشكل طبيعي وليست حكراً على أحد، والتنوير الغربي مهم وهو راقد معرفي زاهر. إن التنوير الحقيقي هو الطريق الطويل في سبيل العودة الى الذات وما من طريقة للعودة الى الذات إلا بمعرفتها، التعمق في معرفة المجتمع والثقافة والتاريخ وشخصياته المؤثرة والإفتتاح على ثقافات العالم، كلها طرقاً ووسائل تساهم في معرفة الذات، «إذن، القومية بمعنى العودة الى ذاتنا الإنسانية (وليست النزعة العنصرية وعبادة التراب والدم)، وهي بمعنى العودة الى الثقافة والهوية التي تمنحني الشخصية الإنسانية، وتبدلني من محلي الى إنسان، ومن متوحش الى متحضر، ومن عديم الثقافة الى صاحب ثقافة، ومن مقلد الى مبدع، ومن متشبه الى إنسان أصيل.» (المستنير / شريعتي 39). الخلاصة أننا اليوم نشاهد بوضوح سقوط أفتنة السياسة الغربية، فهي حتى الآن ماضية في تبني سردية الإحتلال والمشروع الصهيوني وتنظر إلينا - سواء كنا تنويريين أو أي شيء آخر- وكأننا أشباه بشر، دماء آلاف الفلسطينيين وأي أحد من أهل منطقتنا لا تساوي عندهم أسيراً أو جندياً مغتصب.

بعد توغل الاستعمار أكثر في المناطق الإسلامية وجد كنوزاً معرفية وتاريخية ضاربة في عمق التاريخ، احتكر دراستها والبحث فيها وخصص لها أقساماً في جامعاته الغربية المفتوحة والغرف السياسية المغلقة فيما سيعرف بالاستشراق. وفي مراحل الاستعمار الأخيرة وبعد أن فشل في مشروع التبشير راح يروج أخيراً للتنوير الأوروبي على طريقته الخاصة، أي بالمركزية الغربية، بمعنى أن كل تنوير غير النموذج الغربي ومراحله التراتبية ليس تنويراً، وأن المثقف المستنير الذي يتبع غير سبل التنوير الأوروبي ليس بمستنير! والإستنارة في الشرق حكمة روحية عقلية تأملية بعيدة عن مفهوم ومقاصد الغرب.

بالعودة الى زمننا نجد ثمار تلك المنهجية الغربية التي بعد عصر العولمة أصبحت تسيطر على الكثير ممن يظنون أنهم سائرون على خطى التنوير القويم وإنهم يمثلون المثقف النموذجي الشخص المنعزل النائي عن مجتمعه وقضايا الحاسمة ويتعاطى مع الثقافة على الطريقة الرأسمالية الاستهلاكية، وقد كشف هذا النوع عن تنوير مستنسخ غير مُجد واستنارة زائفة، يقول علي شريعتي في كتاب «المستنير ومسؤولياته في المجتمع»: الأشخاص الذين لا يرتضون الحدود والقيود والتوقف والمراوحة ولايفكرون بطريقة جامدة، بل يفكرون بطريقة نيرة متفتحة، ويشخصون زمانهم وموقعهم وموقع بلادهم والقضايا المطروحة في مجتمعهم، هؤلاء هم المستنيريون. خلافاً لذلك الشخص الذي تنتصب أمامه كل هذه القضايا وتطرح في مجتمعه وحياته لكنه لا يفهمها ولا يدري أنها ذات صلة بحياته. إنه لا يدرك كل هذا ويقول لعلها لها بي والحال أن لها علاقة مباشرة به، هذا الشخص ليس مستنيراً.» (17)

إذن نحن إزاء تنوير غربي مخادع واستنارة زائفة ومستنيريون حقيقيون يبحثون في قضاياهم الوجودية والمعرفية بانفتاح وعقلانية متناسبة مع الظروف الاجتماعية. يميز د.حسن مدن في كتاب «حادثة ظهرها الى الجدار» بين التكنوقراطي أي تقني الثقافة والمثقف بالصورة العامة إذ يقول: «لعله هنا يكمن الفرق بين المثقف وتقني الثقافة، والمعياري ليس الشهادات فهي لا تجعل من المرء مثقفاً مهما على مستواها. المثقف هو من يوظف رأسماله الرمزي: أي عمله وثقافته، اجتماعياً. أما التكنوقراطي فيظل أسير وضعه المهني.» (279). ويذهب شريعتي الى أن التنوير ليس حكراً بالضرورة على طبقة معينة ولا على شاكلة نمط غربي محدد سلفاً، الطبقة المتعلمة المثقفة «الإنتلجنسيا» التي هي عبارة عن جماعات متنوعة تمارس عملاً فكرياً معيناً مثل: المعلمين، المحامين، المهندسين، السياسيين، الأطباء، رجال الدين... الخ، تختلف - كثيراً في نظر شريعتي - عن المستنير، إذ ليس المستنير بالضرورة هو الشخص الذي يمارس عملاً فكرياً ولا العامل الذي يمارس عملاً يدوياً مع فرض التداخل فيما بين العملين (الفكري/اليدوي)، إن الشخص الذي يفكر بطريقة مستنيرة نيرة يقرأ ويحلل ويربط ويفك ويهتم كثيراً ويفهم بصورة جيدة مهما كان عمله المهني هو الذي يممضي في طريق التنوير. بالرجوع الى التبشير ودعوة المسلمين الى الدين الكاثوليكي، في العمق هو أيضاً صادر



غربال العائلات في زمن «الماركات»

أي مبدأ أو قيمة في هذا العالم الجديد، يسارعون إلى اقتناء الماركات الباهظة ويتناسون أبسط اجدييات العمل التجاري ويخلون بالتوازن المطلوب والمتدرج على سلم الصعود في عالم المال بين المصاريف والمداخيل، فينزلقون إلى الإفلاس سريعاً وتتلاشى أحلامهم، وهم الذين كانت شخصياتهم وذكائهم يبشران بنماذج واعدة. لا عجب أن تنتشر في مجتمعاتنا، خصوصاً في العقدين الأخيرين أشكال متعددة من المحتالين وطالبي الثراء السريع وأصحاب الشركات الوهمية والمخترطين بوعي أو دون وعي نحو عمليات مالية وتجارية مشبوهة. ليس هدف أغلب هؤلاء طلب العيش الحر الكريم، وإنما الصعود الصاروخي إلى عالم السلع والماركات.

«الماركات هي أكبر كذبة تسويقية صنعها الأثرياء لسرقة الأثرياء فصدّقها الفقراء»، مقولة شهيرة منسوبة لأحد، العبرة منها والضحية فيها هم الفقراء ومتوسطو الحال الذين ضاعت أموالهم وجهود عمرهم وعرقهم علي تفاهات وأسماء تجارية ملأت سماء الإعلام والدعاية. ترى كم يُمثّل هذا الإنفاق والهدر المالي من مدخول العائلات البسيطة والمتوسطة، وكيف يجيء على حساب أمور حياتية وأولويات أهم لدى العائلات كالغذاء والتعليم والتطبيب وتنمية المهارات والمعرفة وحتى السفر والترفيه.

أن يتربى المرء على هذا المنوال ويعرّف نفسه بالسلعة التي يكتنيها والحذاء الذي يرتديه يعني انه لم يجد شيئاً آخر يسعى من أجله أو يجتهد لبلوغه ولسان حاله يقول «دع الماركة تتحدث»! ما عسانا نترجى من جيل «الماركات»؟



عصمت الموسوي

وهل ثمة سبيل لمعالجة هذا الخلل الكبير في تربيتهم، هل ننتشلهم من هذا المحيط ونسارع إلى ادخالهم إلى مدارس وبيئة أخرى أم أن أوان تقويم هذا الخلل قد فات؟ تتساءل هذه السيدة.

لا يقتصر الأمر على فئة الطلاب الأصغر عمراً والاقبل ونضجاً، إذ نجد هذا التوجه الاستهلاكي المدمر حتى لدى الأكبر سناً كفئة الموظفين الصغار، فأول ما يفعله بعضهم مع استلامهم لأول راتب هو اقتناء سيارة فاخرة تستهلك أكثر من نصف مدخول صاحبها، وأما المبتدئون في عالم التجارة فكثير ما نرى نماذج يستغرقهم المظهر أكثر من

أفهم أن يتنافس الأثرياء وميسورو الحال على اقتناء السلع ذات العلامات «الماركات» التجارية الشهيرة، كي يتموضعوا في الطبقة المادية والاجتماعية التي ينتمون إليها ولكي يتماهوا مع امثالهم واقربائهم وأقربائهم وزملاءهم في المدارس والنوادي وفي مجمل الحياة الاجتماعية. ذلك ديدن أغلب العائلات ذات المال الوفير في زمننا، ليس في بلدنا فحسب ولكن في كل مكان على هذا الكوكب، لكن المفارقة الغربية أن ينخرط في هذا التوجه الاستهلاكي الخطير بل والمدمر طبقة محدودي الدخل ومتوسطي الحال وأبناء وبنات المدراء والمهندسين والأطباء الذين ضحى أهلهم بجزء كبير من مداخيلهم لتأمين تعليم لائق لهم، وأدخلوهم المدارس الخاصة كي يتفاجئوا بأبناء لم يكتسبوا سوى التقليد ومحاكاة زملاء لهم، يفوقونهم مالا ومقدرة مالية.

إنه «غربال العائلات» كما روت لي إحدى الأمهات. تقول الأم: «نحن أبناء طبقة فقيرة بنينا أنفسنا وتعلمنا كي نرتفع بمستوانا المادي ونؤسس عائلاتنا ونأخذ ابناؤنا إلى التعليم الافضل نسبياً، ومن البداية شعرنا بفداحة هذا الاختيار، ووجد ابناؤنا أنفسهم أمام محيط من الأثرياء الذين لا حديث لهم إلا عن الماركات، وآخر صيحات الموضة، فإما مجاراتهم أو الشعور بالحرمان أو التقوقع والإنزواء. هنا يدور الحديث والتنافس والسباق عن القميص وعن الحقيبة والحذاء و«التي شيرت»، وحتى سيارة الأبناء التي تقلهم إلى المدرسة، تدخل هي الأخرى في حلبة السباق المظهري.

تضيف الأم: «لقد تحوّل أبناؤنا إلى مخلوقات غريبة لا تشبهنا ولا ننتمي لطبقتنا، هل جنينا نحن عليهم؟



حملة القمع ضد الأصوات المؤيدة للفلسطينيين في فرنسا

إن الرقابة في فرنسا، على المواقف المؤيدة للفلسطينيين شديدة بشكل خاص، مع الإستخدام المتزايد من قِبَل اليمين المتطرف لتهمة مُعاداة السامية. ولكن خلف الموجة الراهنة من القمع نجد مجموعة من المواقف التي هي ليست جديدة ولا هي تقتصر على جناح اليمين. في الحادي والعشرون من مارس/ربيع الأول ٢٠٢٤، كان إجتماعاً للمائدة المُستديرة، تحت عنوان «الحرب على غزة تُشاهد من الضفة الغربية» على وشك أن ينعقد في جامعة Aix-Marseille في فرنسا. ولكن قبل ساعات قليلة فقط من الموعد المُحدد لإنعقاد الإجتماع، تم إلغاء الترخيص الممنوح سابقاً لنقابات التعليم العالي والجماعات المُنظمة له.

الجامعات وإيقافهم عن العمل وفتح قضايا تأديبية ضدهم بسبب التعبير عن دعمهم للنضال التحرري الفلسطيني، حتى لو كان ذلك من خلال حساباتهم الشخصية على وسائل التواصل الإجتماعي. ففي 9 يوليو/تموز 2024، علي سبيل المثال، تم إعتقال فراسوا بورغات François Burgat، المدير الفخري للأبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي وخبير الإسلام السياسي، بتهمة «الدفاع عن الإرهاب».

وفي الوقت نفسه، أدت حملة القمع الإداري الأوسع نطاقاً إلى إلغاء فعاليات أكاديمية حول فلسطين، مُبررةً ذلك بأسباب أمنية أو لأن الأحداث أعتبرت سياسية بشكل صريح. كما تم أيضاً إسكات العلماء خارج الجامعة. وكانت الحالة الأكثر شهرة هي الفيلسوفة الأمريكية جوديث باتلر Judith Butler، التي ألغى عمدة باريس مُحاضرتها عن مُعاداة السامية وفلسطين، والتي كان من المقرر أن تُلقى في السادس من ديسمبر/كانون الأول.

ولكن مع إرتفاع عدد الضحايا الفلسطينيين في غزة، نمت حركة التضامن داخل الجامعات. وكما حدث في الولايات المتحدة وأوروبا، أصبحت الجامعات في فرنسا المواقع الرئيسية ليس فقط للتشديد من أجل فلسطين، بل وأيضاً للإحتجاجات الداعمة للحرية الأكاديمية.

وبدأت الحكومة تتدخل على نحو متزايد في شؤون الجامعة. في الثالث عشر من مارس/ آذار 2024، قدم رئيس الوزراء غابرييل أتال Gabriel Attal نفسه في معهد العلوم السياسية في باريس، وحث الجامعة على اتخاذ إجراءات تأديبية ضد الطلاب الذين انضموا فعالية تضامنية مع فلسطين في الحرم الجامعي. وقد جاء هذا التدخل في أعقاب إتهامات بمُعاداة السامية وجهها أعضاء إتحاد الطلاب اليهود في فرنسا. وخوفاً من وصمها بمُعاداة السامية، عززت العديد من الجامعات الرقابة على كل الأمور المُتعلقة بفلسطين.

وأصبحت جامعة العلوم السياسية مركزاً للمخيمات الطلابية في فرنسا، والتي أمتدت بعد ذلك إلى جامعات أخرى، بما في ذلك جامعة السوربون، والمدرسة العليا للتعليم، ومدرسة الدراسات

حاول مُنظموا الإجتماع إعادة جدولة الحدث تحت المظلة المؤسسية لوحدة الأبحاث بالجامعة، ببرنامج جديد مصقول وغير مُسيس. ولكن على الرغم من ما وصفه أحد المُنظمين بـ «الممارسة المؤلمة للرقابة الذاتية»، قامت الجامعة بإلغاء الحدث مرة أخرى في اللحظة الأخيرة.

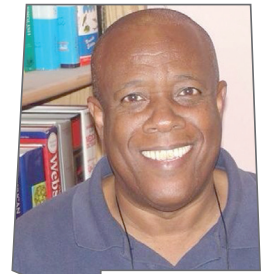
في ظل الظروف العادية، من شأن إلغاء حدث أكاديمي مرتين أن يجذب قدراً كبيراً من الاهتمام. ولكن وسط موجة من الكبت والرقابة حول موضوع فلسطين الذي غمر الفضاء العام الفرنسي بعد هجوم حماس في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، مَر دون أن يلاحظه أحد تقريباً. ربما لم أكن لأعلم بإلغاء الإجتماع لو لم تتم دعوتي لإلقاء كلمة.

موجة القمع

وبعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول مُباشرةً، منعت السلطات الفرنسية المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين. وقمعت بعنف المتظاهرين السلميين وألقت القبض على الكثيرين منهم. وفي الرابع عشر من أكتوبر، أعتقلت الشرطة بطريقة وحشية الناشطة النسوية، المثقفة الفلسطينية البالغة من العمر 72 عاماً مريم أبو داقا، التي تمت دعوتها إلى فرنسا لتلقي خطاباً في سلسلة من المؤتمرات، وتم ترحيلها إلى مصر بعد أن قضت شهراً في المعتقل. كان اعتقال الناشطة مريم أبو داقا مُرتبطاً بإنتسابها لمنظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي صنفتها الإتحاد الأوروبي منظمة إرهابية.

وبينما إجتاح القمع الشوارع، أستولت على وسائل الإعلام شكل دقيق من السيطرة والانضباط. فأسرت جرايد الأخبار وبرامج التلفزيون ومحطات الإذاعة إلى الإصطفاف مع الرواية الإسرائيلية، تُدين هجمات السابع من أكتوبر/تشرين الأول ولكن في الوقت نفسه تتجاهل 76 عاماً على الأقل من التهجير والأستعمار الصهيوني في فلسطين. لم يُترك مجالاً للباحثين والخبراء لطرح تحليلاتهم النقدية الدقيقة، في حين تم ببساطة فرض الرقابة على البعض الآخر. ومنعت شروط الخطاب الكثيرين من المساهمة في النقاش العام خوفاً من التعرض للإعتداء أو التمثيل الخاطيء.

ولم تسلم الأوساط الأكاديمية من طوفان القمع. فقد تم تحذير أساتذة



ترجمة:
غريب عوض

بقلم:

Samirah Jarrar



الغلبا للعلوم الاجتماعية. وواجهت الإحتلالات، التي طالبت سلمياً بإنهاء التعاون الأكاديمي مع المؤسسات العسكرية والإستعمارية، قمعاً من جانب إدارة الجامعات. وفي مناسبات مُتعددة إستدعت الجامعات الشرطة لطردها، وأحياناً أدى إلى إلقاء القبض عليهم. ولم يستثنى القمع البوليسي المظاهرات في المدارس الثانوية أيضاً، حيث تم إعتقال العديد من الطلاب. وأصبح تطبيع التدخّل المنهج للشرطة داخل المدارس والجامعات مصدر قلق كبير.

إن الهجمات على الحركات الطلابية المؤيدة للفلسطينيين هي تعبيراً عن الأستبداد المتصاعد للسلطات الفرنسية، والذي يتمشى مع المواقف المؤيدة لإسرائيل. وخلال الإنتخابات التشريعية الفرنسية الأخيرة، التي أنست بارتفاع قياسي في عدد الأصوات اليمينية المتطرفة، تم إستغلال إتهامات مُعادة السامية في كثير من الأحيان لتشويه سمعة الشخصيات والحركات المناهضة للغنصورية التي أدانت العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. وكان الحزب السياسي اليساري المتطرف «فرنسا الأبية» وزعيمة جان لوك ميلينشون Jean-Luc Melenchon الأكثر تضرراً من هذه الهجمات.

قصة فرنسية قديمة

إن قمع حركة التضامن مع الفلسطينيين في فرنسا ليس بالأمر الجديد. لقد واجهت الحركات المؤيدة لفلسطين، من ضمنها حركة المقاطعة وسحب الأستثمارات وفرض العقوبات، مُحاولات مُتكررة لتجريمها على مر السنين. إن الموقف العام للمؤسسات الفرنسية تجاه فلسطين له أسباب مُعقدة عميقة تتعلق بالجغرافيا السياسية الفرنسية، والماضي الإستعماري لفرنسا، وحاضرتها الإستبدادي الغنصوري.

عند إنشاء دولة إسرائيل، كانت فرنسا الداعم الرئيسي لتسليحها العسكري والنووي. على سبيل المثال، تم بناء مفاعل ديمونا النووي Dimona nuclear reactor في صحراء النقب بمُساعدة فرنسية خارج نظام التفقيش التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية. ومُنذ ستينيات القرن العشرين فصاعداً، غيّرت فرنسا موقفها، وأُعترفت بالحقوق الوطنية للفلسطينيين. وكان العدف هو ضمان استقلال فرنسا عن الولايات المتحدة وتعزيز مكانتها في العالم العربي في أعقاب الحركات المناهضة للأستعمار. وفي الوقت نفسه، حافظت فرنسا على علاقات دبلوماسية واقتصادية مع إسرائيل ولم تشكل بجدية في نظامها الإستعماري.

وعلى مدى العشرين عاماً الماضية، أدى ميل الحكومات الفرنسية المتعاقبة إلى اليمين وإصطافها مع العقيدة المحافظة الجديدة الأمريكية إلى تقوية الروابط السياسية والاقتصادية والأيدولوجية مع إسرائيل. ولعبت جماعات المصالح الصهيونية القوية دوراً في تشكيل مواقف الحكومة تجاه إسرائيل وفلسطين، بإستخدام إتهامات مُعادة السامية لممارسة الضغوط.

Jean Genet. وفي إستذكاره للوقت الذي دعاه فيه جان بول سارتر إلى باريس، صُدِمَ الباحث الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد بمدى البرودة التي عمل بها من قِبل العديد من المثقفين الفرنسيين، بما في ذلك ميشيل فوكو Michel Foucault. فقد كان إدوارد سعيد، الذي كان صريحاً للغاية في حديثه عن فلسطين، مُهمشاً في فرنسا؛ وحتى الآن لاتزال أعماله غير مُترجمة بالكامل إلى اللغة الفرنسية.

وبالمقارنة بدول أخرى، فإن الأوساط الأكاديمية الفرنسية تقاوم عموماً الدراسات ما بعد الأستعمارية، وخاصة الدراسات التي تتناول نهاية الأستعمار، والتي تُقدم نقداً أكثر شمولية وتجذر للهيمنة الغربية. ولكن على الرغم من هامشيتها، فقد أستهدفت الدراسات التي تتناول نهاية الأستعمار في فرنسا من قِبل المثقفين المحافظين ووسائل الإعلام المحافظة، الذين يتهمونها (الدراسات) بأنها مُعادية للعلم وتروج لسياسات الهوية. وهذا الإتحاء، الذي يُعزى غالباً إلى العداء للهيمنة الأكاديمية الأمريكية، يخفي قضية أعمق: الموقف الإشكالي لفرنسا تجاه ماضيها الإستعماري غير المحلول، وحاضرها الإستعماري الجديد.

في عام 2019، أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron أمام الحاضرين في تجمع العشاء السنوي للمجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية الفرنسية أن فرنسا ستعتمد تعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست لمُعادة السامية، مُعلنًا أن "مُعادة الصهيونية antizionism هي شكل حديث من أشكال مُعادة السامية antisemitism". ويهدف هذا الخلط بين مُعادة الصهيونية ومُعادة السامية إلى إسكات الإنتقادات الموجهة لإسرائيل مع إستغلال الشعور التاريخي بالذنب تجاه تاريخ فرنسا الطويل وغير المحلول في مُعادة السامية.

إن هذا الرفض لإنتقاد المشروع الإستيطاني الإستعماري الإسرائيلي، على الرغم من كل الأدلة على عُنف هذا المشروع وظلمه، له تاريخ فكري أيضاً. فبالرغم من أن العديد من المثقفين الفرنسيين اليساريين مُنذ الخمسينيات فصاعداً كانوا صريحين في الدفاع عن قضايا اجتماعية وسياسية أخرى، بل وحتى مُناهضة للأستعمار، فإن أغلبهم كانوا صامتين أو حتى مُعاطفين مع الصهيونية، بإستثناءات قليلة مثل جيل دولوز Gilles Deleuze و فيليكس جوتاري Felix Guattari و جان جينييه



قضايا العصر

ولنتأمل هذا الجدل الدائر حول تاريخ الحرب الجزائرية، وخاصةً المحاولات التصحيحية لإعادة تأهيل الإستعمار الفرنسي. ففي عام 2005، أثار «قانون الذاكرة» الفرنسي (2005-158) جدلاً واسع النطاق، وخاصةً بسبب المادة الرابعة التي تلزم مُدرسي المدارس الثانوية بتأكيد «الدور الإيجابي» الذي لعبته فرنسا في مستعمراتها السابقة. ورغم تعديل المادة الرابعة في وقت لاحق، فإن القانون لا يزال يعترف بـ «إمتنان» الأمة للنساء والرجال الذين شاركوا في العمل الذي أنجزته فرنسا في المقاطعات الفرنسية السابقة في الجزائر والمغرب وتونس والهند الصينية، فضلاً عن الأراضي التي كانت خاضعة للسيادة الفرنسية في السابق.

وعندما يتعلق الأمر بـ فلسطين، يُصبح تحليل المشكلة من منظور استعماري أمراً فاضحاً. وهناك حكاية شخصية حدثت معي: بصفتي طالب دكتوراه إيطالي فلسطيني يعمل على دراسة فلسطين، طلب مني استبدال كلمة «الأستعمار»، التي أُعتبرت (وأنا أستشهد بها) «جزئية للغاية» ويجب «تجنبها» بكلمة «صراع». وهذا التحكم اللغوي يُشكل جزءاً من نظام أكثر عمومية للحقيقة، لا ينتقد إسرائيل ويصوّر الوضع التاريخي باعتباره صراعاً بين جانبين مُتساويين. وبعيداً عن الموضوعية، فإن هذا الخطاب يحجب مصالح سياسية مُحددة.

وبالرغم من هذا العُنف المعرفي، فإن جيلاً أصغر سناً من الباحثين، ومن بينهم فلسطينيون ناطقون بالفرنسية، يُغيرون النموذج ببطء، ويضعون الإطار الأستعماري الأستيطاني في مركز تحليلهم لفلسطين.

إن استمرارية المركزية الأوروبية والمحرمات المفروضة على إنقذار الأستعمار الإسرائيلي داخل الأوساط الأكاديمية تنبع من نظرة عالمية مُهيمنة تتسم بالعُنصرية الدائمة. وكما زعم الخبير الإقتصادي والفيلسوف الفرنسي فريدريك لوردون Frédéric Lordon، فإن بعض قطاعات المجتمع الأوروبي، وخاصةً البرجوازية، تقف غريزياً إلى جانب إسرائيل، ليس فقط بسبب التقارب الإجماعي (أنماط الحياة الليبرالية الجديدة، وما إلى ذلك)، ولكن أيضاً وبشكل خاص التعاطف المُشترك مع الهيمنة والتفوق العُنصري.

إن التسلسل الهرمي العُنصري للحياة يتجلى بوضوح في المعايير المُزدوجة التي تنتهجها المؤسسات الفرنسية في التعامل مع الصراعات الدولية والأزمات الإنسانية. وكان سلوك المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي CNRS رمزياً، حيث جُمّد كل التعاون العلمي مع روسيا رداً على الهجوم الروسي على أوكرانيا، لكنه لم يصدر أي بيان بشأن العدوان الإسرائيلي على غزة.

هذا الموقف العُنصري يتخلل السياسات الفرنسية تجاه المجتمعات العرقية السوداء والسمرات في أراضيها. تاريخياً، طبقت فرنسا نموذجاً إستيعابياً تجاه المجموعات العرقية والدينية المُختلفة الخاضعة

لسُلطتها، وبذلت جهوداً سياسية لتأديب هؤلاء الرعايا وفقاً للقيم «العالمية» للجمهورية الفرنسية ومبدأ العلمانية. وكثيراً ما كان هذا يعني قمع التعبير عن الخصوصيات الدينية والثقافية للأقليات بعُنف. ولقد تعرّض الرعايا ذو الأعراق المُختلطة للتمييز المكاني والمهني والإجتماعي علي مر السنين؛ ولم تتحقق المساواة الفعلية في الحقوق والفرص قط.

تصاعد القمع، وتنامي التعبئة

لقد أصبح الخطاب والسياسات المُعادية للإسلام أكثر ضراوة في فرنسا بعد الهجمات الإرهابية الإسلامية في عام 2015، وبعد ذلك تم دمج سُلطات مكافحة الإرهاب التي تنتمي إلى قانون الطوارئ في القانون العام، مما أدى إلى فرض قيود على الحريات المدنية الفردية والجماعية. في السنوات التي تلت ذلك، أقر البرلمان الفرنسي سلسلة من القوانين التي تستهدف المجتمعات المسلمة، بما في ذلك مشروع قانون «الإنفصالية» الذي يُتيح قمع الجماعات المسلمة والمُعادية للعُنصرية.

لم تسلم الأوساط الأكاديمية من صعود ظاهرة كراهية الإسلام، حيث وُصف العديد من العلماء والمُثقفين بإزدراء الإسلام بشكل مُهين «الرهاب الإسلامي» (اليساريين الإسلاميين). ولم يروّج لهذا المُصطلح اليميني المحافظ فحسب، بل أيضاً مراكز الأبحاث والشخصيات المرتبطة بالجنح الأيمن من «اليساريين المُتعارضين»، الأمر الذي جعل المعركة ضد «الإسلاموية» (بما في ذلك رفض مفهوم «مُعادة الإسلام») أحد خطوط الشقاق الرئيسية بين اليسار المقبول (أي، اليسار الجمهوري والعلماني) وبقية الطيف السياسي.

في عام 2021، أعلن وزير التعليم العالي فريدريك فيدال Frederique Vidal عن عزمه على فتح تحقيقاً حول «اليسار الإسلامي أو الإسلاميون التقدميون» في الجامعات، وأن يطلب من المركز الوطني للبحث العلمي تقديم تقريراً حول جميع البحوث التي أُجريت في فرنسا، من أجل التمييز بين ما يندرج تحت البحث الأكاديمي وما هو «نشاط». كان من المُفترض أن يستهدف التحقيق، الذي لم يتم إجراؤه في النهاية بعد رفض المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي المشاركة، دراسات ما بعد الأستعمار وما بعد الأستعمار والتقاطعية، والتي تُركز على الهيمنة المُتداخلة والتمييز على أساس العرق والجنس والطبقة.

في حين رفض المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي تصنيف الإسلاموية التقدمية باعتبارها «غير علمية»، فإن الموجة الجديدة من المكارثية التي يوجهها العلماء والطلاب المؤيدون للفلسطينيين تظل هذه الممارسات تُشكل مخاطر حقيقية على حياتهم المهنية وقد تكون لها عواقب قانونية ومهنية خطيرة. إن العُنصرية البنيوية والأستبداد المتنامي للمؤسسات الفرنسية يُفسران الرد العنيف على حركات التضامن مع الفلسطينيين وكذلك اللامبالاة تجاه المُجازر التي يوجهها الشعب الفلسطيني

في غزة. ولكن نزع الصفة الإنسانية عن حياة البشر من خلال التمييز العُنصري والآليات المُستخدمة لتأديب ومُعاينة المُعارضين لم تتمكن من وقف الثورة ضد الظلم والعُنف. فقد وفّرت وسائل التواصل الإجتماعي مساحة للمعلومات والتبادل المُستقل، وربطت بين حركات التضامن في مُختلف أنحاء العالم، في حين تستمر المُظاهرات الحاشدة دون رَدع.

بالنسبة للعديد من أفراد الشعب الفرنسي، لا ترمز فلسطين إلى نضال الشعب الفلسطيني من أجل التحرير فحسب، بل ترمز أيضاً إلى النضال العالمي ضد العُنصرية والظلم والإمبريالية والفاشية. وليس من قبيل المُصادفة أن تجد الحركة الفلسطينية اليوم أصدقاء وتضامناً مُتبادلاً في نضال شعب الكاناك من أجل الأستقلال، السكان الأصليين لأرخبيل الكاناك (كاليدونيا الجديدة) في جنوب غرب المحيط الهادئ، الذي استعمرته فرنسا في عام 1853م.

منذ العدوان الإسرائيلي الراهن على غزة، نشأت في فرنسا مجموعات محلية ووطنية جديدة مؤيدة للفلسطينيين، في حين اكتسبت مجموعات قائمة بالفعل، مثل مجموعات المقاطعة وسحب الأستثمارات وفرض العقوبات، أعضاء جُدد. وقد جمعت حركة التضامن بين قوى إجتماعية وسياسية مُختلفة، من اليسار الراديكالي إلى الحركات إلى الحركات المناهضة للأستعمار والعُنصرية، بما في ذلك اليهود المناهضون للصهيونية. كما أن توليف الحركة يتفاوت أيضاً عبر الخطوط الطبقية، مع مشاركة قوية من السكان المُهمشين على أساس عرقي، والنقابات العمالية، والجماعات المهنية، مثل المراسلين والمُعلمين والمُحامين والأطباء والعاملين في المجال الثقافي.

وفي الجامعة تُركّزت بشكل مُتزايد تحركات الطلبة والعاملين في التعليم العالي، مُطالبين جامعاتهم بالمُطالبة بوقف الإبادة الجماعية في فلسطين، وإيقاف الشراكات مع المؤسسات الإستعمارية والعسكرية، والدخول في شراكات مع الجامعات الفلسطينية، وأحترام الحريات الأكاديمية. لقد أنشأوا مساحات إفتراضية جديدة، بما في ذلك المدونات blogs وقوائم البريد الإلكتروني والمنصات لتبادل المعلومات وتوفير البحوث والتحليلات المُستقلة حول فلسطين. ومن خلال حركات المُخيمات، تمكن الطلاب من تحرير مساحات مادية للتفكير النقدي والتبادل المتاحة ليس فقط لأعضاء الجامعة ولكن للجمهور الأوسع أيضاً.

إن الجهود المُشتركة التي تبذلها مُختلف القوى المجتمعية، فضلاً عن الوحشية الواضحة للنظام الإسرائيلي، بدأت تُؤتي ثمارها ببطء في فرنسا. فالحركة الشعبية تُمارس ضغوطاً سياسية من القاعدة إلى القمة، وتُحوّل الخطاب ببطء نحو مواقف أكثر جرأة تُدين الأحتلال والأستعمار الإسرائيلي.

دكتور جيڤاكو وما لم نعرفه من أسرار



حميد الملا

تدور أحداث رواية «لارا بريسكوت» في مناخ رواية أصدرها الكاتب الروسي بوريس باسترنك في فترة حكم ستالين، وأطلق عليها عنوان «دكتور جيڤاكو»، وتقع الرواية في في سبعمئة وخمسين صفحة وكانت سبب شهرة كاتبها، وأصبحت من أكثر الروايات العالمية مبيعا وأثارة للجدل، كما أن هوليوود اشترت حقوق تحويلها إلى فيلم سينمائي. كان ستالين يحبّ كتابة باسترنك ويستمتع بها، لذلك استبعد من قائمة من طالتهم العقوبات، حيث طلب ستالين من اتباعه «أن يتركوا المجدوب، الساكن بين السحاب وشأنه».

حين صدرت تلك الرواية في العام 1956 تبدأ الأحداث بمنعها من التداول لخشية النظام قوتها الهدامة، فيقرر حظرها «اعتبروا رواية دكتور جيڤاكو سلاحاً أشهره أعداء الدولة، واعتبروا الجائزة مكافأة من الغرب» والمقصود هنا جائزة نوبل التي حصل عليها الكاتب عام 1958، أي قبل وفاته بسنتين.

رواية دكتور جيڤاكو كتبت بتدفق بكر من داخل الكاتب ومن إحساس من يعثر على حب جديد حسب تعبير لارا بريسكوت: «الوسواس، الوله، تفكيره العاجز عن الانصراف إلى أي شيء آخر، والشخصيات تتسلل إلى أحلامه، وقلبه الذي يطير فرحاً مع كل اكتشاف، وكل جملة، وكل مشهد. مرّت أوقات كثيرة كان بوريس يحسّ فيها أن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يبقيه حياً». هنا يبدأ دور المخابرات الغربية والأميركية على وجه الخصوص في الاستفادة من هذا الوضع فترة الحرب الباردة ضد الإتحاد السوفيتي لتقوم بالتخطيط لإصدارها في الخارج «فلنأمل أن يجعل سلاح الدمار الشامل الأدبي ذلك الوحش يصرخ المأ»، وكان لهم ما أرادوا من خلال تهريب الرواية أولاً لألمانيا الغربية ومن ثم إيطاليا وبعد ذلك العمل على إصدارها وتهريبها للدخل السوفيتي من خلال الاستفادة من معرض في بروكسل «إكسبو 58»، وهو المعرض الدولي الأول بعد الحرب العالمية الثانية لتوزع رواية دكتور جيڤاكو على الزوار الروس وبالتالي وصلت للإتحاد السوفياتي مع ما سوف يؤدي إليه من استياء عالمي جراء حظرها هناك، حيث أن كان من المقدر أن يقصد هذا المعرض أربعون مليون سائح من جميع أنحاء العالم وبالخصوص أن الجناح الأضخم المشارك هو الجناح السوفياتي.

لإنجاح عملية توزيع الرواية المترجمة للغة الروسية استخدمت المخابرات الأمريكية جناح مبنى الفاتيكان لتوزيع الكتاب على الزوار الروس من خلال مجنّدة من المهاجرين الروس أرسلت إلى هناك، فحصلت راقصة البالية من فرقة مسرح البولشوي بيكاتيرينا أول نسخة منها أعقب ذلك عازف أو كورديون في فرقة الجيش الأحمر، أخذ الكتاب وأخفاه في حقيبة أو كورديونه الفارغة. مهرج في سيرك موسكو الحكومي وضع الكتاب في علبة المكياج .. الخ وبذلك تم تهريب ثلاثمئة وخمسين نسخة كما هو مخطط له.

بعد هذا النجاح استغلت وكالة المخابرات الأمريكية مهرجان الشباب العالمي المنعقد في فيينا فضاعت جهودها، وقررت أن تطبع وتوزع مزيداً من نسخ الرواية في حدود ألفي نسخة إضافة لروايات (الرب الذي أخفق) و (مزرعة الحيوان) و (1984) لجورج أورويل.

الجزء الأكثر إثارة في هذه الرواية الجميلة هو المتصل بحياة كاتب رواية دكتور جيڤاكو بوريس باسترنك وعلاقته بعشيقته و «ربة إلهامه» كما يسميها أولغا فسيفولودوفنا، جمالها الأخاذ ورقة مشاعرها ساهم في رسم الصورة التي أرادها في بطلته روايته، فقد ألهمته شخصية «لارا»، المرأة التي وقع العالم في حبها مثلما وقع بوريس في حبها، وهي العشيقّة التي لها ولد و بنت، ميتيا وإيرا من زوج قد توفي، قدّمت له الكثير ودافعت عنه بكل قوة و شراسة ودخلت السجن وتحملته بشجاعة دفاعاً عنه ككاتب يحق له إبداء الرأي فيما يحصل لبلده، مع

العلم بأن باسترنك متزوج من زينايدا وله منها ولد مما أوقعه في ورطة مع عائلته، «ما عاد يحسّ بالذنب لأنه يكذب على زوجته، وما عاد يحسّ حرجاً إزاء كلام الناس وإزاء حقيقة أن زينايدا تعرف بالأمر لكنها لا تتكلم فيه «ومن جانب آخر» ما كان بوريس قادراً، قبل ثلاث سنين فقط، على تخيل عالم لا تكون أولغا في مركزه».

الرواية تحكي أيضاً عن تعرض المخالفين للنظام للغبن والتسقيط، والمثال البارز في هذا السياق بوريس باسترنك لدرجة فصله من اتحاد الكتاب السوفيتي، «ثم جرى التصويت فخرجت النتيجة بالإجماع. تقررت عقوبة نافذة المفعول فوراً: يطرد بوريس ليونيدوفيتش باسترنك من اتحاد الكتاب». وعلى الرغم من ذلك نال الكاتب دعماً وتضامناً، فأنته رسائل من البير كامو، جون شتاينيك، وحتى من نهرو، رئيس حكومة الهند، كما أنته رسائل من طلبة في باريس، ومن رسام في موسكو، ومن جندي في كوبا، ومن ربة منزل في تورنتو. كانت هيئته تشرق كلها عندما يفتح أي رسالة من تلك الرسائل».

كما تستعرض الرواية المضايقات التي لاقاها بوريس باسترنك هو وأصدقاؤه بعد كتابته لهذه الرواية ليقول وهو يخاطب عشيقته «أنت لم تمرّ بما مررت به. أنت لم ترينهم يأخذون أصدقاءك واحداً تلو الآخر. أنت لا تعرفين كيف يكون شعور الإنسان عندما يظل حياً بعد أن يُقتل أصدقاؤه!».

أحداث كثيرة تدور في هذه الرواية عن عمل قسم الجاسوسية والجواسيس ولعبة الكرّ والفرّ وأخلاقيات العمل والشذوذ الجنسي والحب وتسخير النساء الجميلات لإصطياد أسرار رجال من ذوي نفوذ، «امرأة تستخدم مواهبها للحصول على معلومت» وأمور كثيرة تجعل القارئ يغرق في الرواية، فقسم روسيا السوفياتية لدى وكالة المخابرات الأمريكية يضم كثيراً من الروس المنشقين نساءً ورجالاً، ولكن تظل إيرينا هي من يقع التركيز عليها في هذه الرواية: «كان علينا أن نقرّ بهذا، لم تكن إيرينا فتاة ممن يفزّن في مسابقات الجمال، لكنها جميلة ... ذلك النوع من الجمال الذي يكاد يكون خفياً».

من ضمن ما يرد فشل المخابرات الأمريكية للإطاحة بالنظام الشيوعي في هنغاريا، بعد الحملات الدعائية التي قامت بها الوكالة لتشجيع المحتجين ونزولهم إلى شوارع بودابست للتعبير عن معارضتهم للاحتلال السوفيتي كما سمته الكاتبه، في أطار تناول الرواية لما كان يحدث بين القوتين العظمتين، الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، أبان الحرب الباردة والاستفادة من الثغرات الموجودة من كاليود المفروضة على حرية الرأي والتعبير وغيرها من الحريات، وكيفية استفادة الدول الغربية من كل ذلك لإذكاء غضب الشعوب على حكوماتها وبالتالي إشعال الثورات الملونة لإسقاط الأنظمة غير الموالية للغرب.

رواية جميلة وممتعة، كتبت بأسلوب علمي راق، ففي الوقت الذي عرت فيه أساليب الأنظمة الشمولية في التعامل مع حقوق الإنسان، لم تصرف النظر عما تقوم به الدول الغربية من أساليب وقحة في استعمال ذلك وبكل الطرق غير المشروعة في دفع الشعوب لحافة الهاوية، ونجحت الكاتبة في إلقاء الضوء على فصل غير معروف عن كاتب رواية (دكتور جيڤاكو) بوريس باسترنك بأسلوب أدبي قوي ومتناسك.

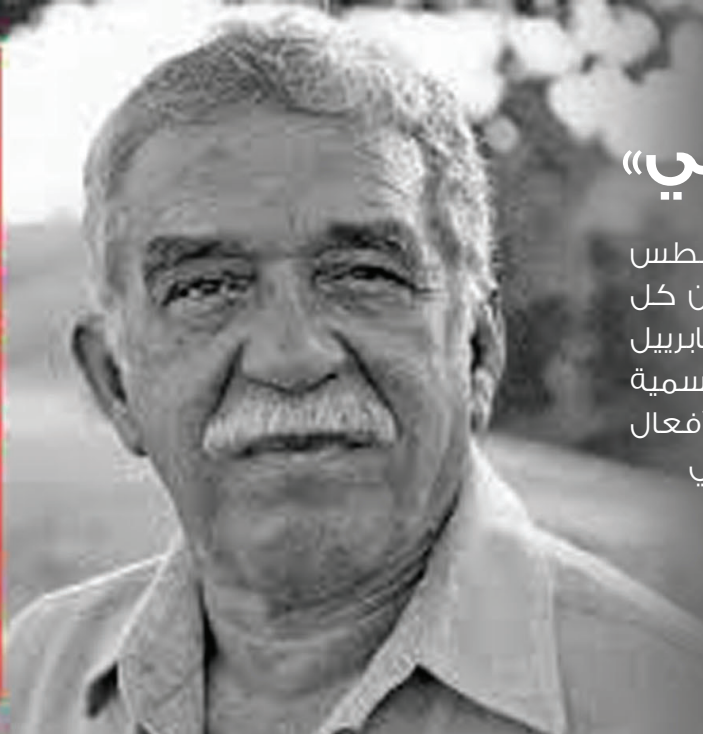
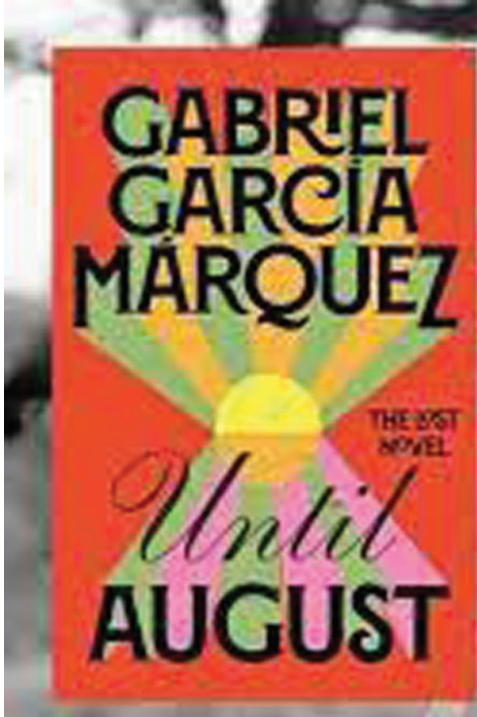




ماركيز

«في أغسطس نلتقي»

ما أن وقعت عيني على أولى فقرات «في أغسطس نلتقي» لغابرييل غارثيا ماركيز، حتى بدا لي أن كل سطر فيها ينطق بإسم كاتبها، فأسلوب غابرييل الموهوس جداً بالتفاصيل، والدقيق جداً في تسمية الأشياء إلى حد إختراع تصريفات جديدة للأفعال وإبتداع تشبيهات لم يتخيلها أحد من قبله في ربط الأشياء ببعضها والمشاعر ببعضها، وعينه الراصدة لكل أصوات وتحركات الحياة والناس من حوله، حاضرة بما لا يترك مجالاً للشك في أن كاتب هذه الرواية القصيرة جداً هو «الغابو».



باستخدامه للضمير «أنا» متلبساً روح بطلته «جوسلين» متحدثاً عنها وعن عواصفها الداخلية.

في هذه المقارنة أجد أن غابرييل رجلٌ كُتب من واقع معاشته للمرأة، كتب عن قرب، لكن رغم معاشته الطويلة والحميمة لم يستطع أن يكون إلا رجلاً كتب بشجاعة وجرأة قصة امرأة في أكثر مراحل حياتها تعقيداً. سيدة أكانا ماجدلينا كما وصفها غابرييل، إمتلك كل هذا الإعتزاز بالنفس والتوازن الداخلي والذكاء وعمق البصيرة التي جعلتها لا تقع أبداً في شباك أكثر الشباب سحراً في زمانها رغم إلحاحه الطويل ووقوفه اليائس أمام بابها، لا يمكن لها أبداً أن تنحدر كل هذه المسافة لتسقط في السادسة والأربعين من عمرها في هاوية العلاقات العابرة، ماهكذا تكون أزمة العمر عند النساء، قد تحب المرأة رجلاً وجدت عنده ما لم تجده عند زوجها من مشاركة فكرية ووجدانية، قد تحبه بصدق وبصمت أو تقدم على الانتحار إجتماعياً بإفصاحها عن مشاعرها، لكنها لا تنحدر أبداً لقاع العلاقات المتعددة العابرة التي تدوم ليلة واحدة في السنة.

في هذا كان غابرييل رجلاً جداً وهو يحاول أن يشرح المرأة، بينما غريغوار ديلاكور بلائحة رغبات بطلته كان رجلاً تلبسته روح امرأة قررت أن تروي بنفسها ما يثور في داخلها من عواصف وعواطف، لم تخالجنى لحظة شك وأنا أقرأ له أن الكاتبة امرأة، وكمن مرات عدت إلى إسم الكاتبة لأتأكد أنه فعلاً رجل!

فيريأي، ورغم أن هذه الرواية كانت ستكون نقطة تحوّل كبير في مسيرة العظيم غابرييل تميل بقلمه نحو الواقعية الفجة لو سمحت له بذلك الذاكرة و الأيام، إلا أن غابو كان محقاً في رفضه نشر هذه الرواية التي حتى وإن كانت جميلة اللغة، مدهشة الوصف، ومشوقة حتى آخر كلمة إلا انها محاولة سانجة جداً في ولوج عالم المرأة بالنسبة لكبير مثل غابرييل غارثيا ماركيز.

* مترجمة سودانية مهتمة بالأدبين الإسباني واللاتيني

الرواية وخلافاً لمنهج الواقعية السحرية الذي سار عليه أدب غابرييل ماركيز، هي خالصة الواقعية، وتخلو تماماً من السحرية، ولست أدري فأنا لا أعتبر نفسي قارئة مخلصه لماركيز، حيث لم أقرأ له سوى روايتين صغيرتين «قصة موت معلن» و«مذكرات غانياتي الحزينة»، وفي كليهما لم تقابلني قصة واقعية صرفة تخلو من سحر الخرافة لغابرييل كما هي الحال في «في أغسطس نلتقي».

تتناول الرواية «أزمة منتصف العمر» للسيدة أنا ماجدلينا باش، من خلال حياتها العائلية وسفرها السنوي في السادس عشر من أغسطس كل عام لزيارة قبر والدتها في جزيرة بعيدة تقضي فيها ليلة من السنة بمفردها. وربما هي المرة الأولى لغابرييل التي يكتب فيها قصة تكون فيها البطولة المطلقة لامرأة، ولهذا السبب بالذات أقول إن ماركيز لم يكن يكتب هذه الرواية إلا في آخر أيام وعيه بأنه كاتب، فلكي يتجرأ رجل، أي رجل كان، أن يصف الهواجس الداخلية لامرأة تتأرجح بين السادسة والأربعين، والخمسين من عمرها يلزمه أن يختبر المرأة في حالاتها الثلاث: أما، زوجة، ابنة.

ربما يكون هذا هو أيضاً السبب الذي جعل الرواية تخلو من سحر الخرافة، فغابرييل ظن في نفسه أن قد خبر المرأة وعرف أسرارها، والمعرفة كما ندرك كلنا تلغي سحر الخرافة!

وهنا إعترف أنني لم أستطع إبعاد شبح رواية «لائحة رغباتي» للكاتب السينمائي الفرنسي غريغوار ديلاكور وأنا أقرأ هذه الرواية. رغم معرفتي بأن المقارنة عادة سخيفة إجتاحتنى مؤخراً أسهمت مع عوامل أخرى في إفساد متعة القراءة علي!، فماذا أفعل إذا كانت بعض الروايات تترك ظلالاً كثيفة في نفسي فترغمني على إرتكاب هذه المعصية: «المقارنة»!

كلا الرجلين كتب عن المرأة في منتصف عمرها، وكلاهما كان جري جداً في إقتحام العالم الداخلي للمرأة، فبينما إختار غابرييل أن يبقى في مسافة آمنة بالإحتماء بالراوي العليم في سرده لحياة ماجدولينا باش وكشف هواجسها الداخلية، كان غريغوار ديلاكور الأجرأ في اقتحام العوالم الداخلية للنساء بدخوله إلى أعصابهن الحية



فائزة مصطفى *

«كل شيء سوى الندم!»

أيام محمود درويش في القاهرة



محمود درويش وعبدالرحمن الأبنودي وصافيناز كاظم في القاهرة

هناك صور فوتوغرافية قديمة قادرة على إختزال روح حقبة تاريخية بأكملها في ثنيها. إحدى هذه الصور، لقطة نادرة تجمع الشاعران محمود درويش وعبدالرحمن الأبنودي تتوسطهم الصحفية صافي ناز كاظم وهم يتجولون في شارع الغورية بالقاهرة مطلع السبعينات. ضحكة صافي ناز فجائية من القلب، وتبدو كردة فعل على شيء قاله لها محمود درويش الذي تشي ابتسامته وحركة يده اليسرى بأنه كان يسخر من شيء ما، فيما يبدو الأبنودي بابتسامته الخفيفة متمالكا نفسه.

بعد عقود طويلة كشفت صافي ناز، سر تلك الضحكة: «قلت لمحمود درويش بمشاعر خجلي أغلفها بالجرأة الزائدة: كيف تبدو علينا الهزيمة يا محمود درويش؟ (تقصد هزيمة 67). رد مسرعا بأسلوب البديهة الفلسطينية المشهورة: هزيمة؟ الذي يراكم يحسب أننا نحتل ثلاثة أرباع العالم! فضحكت وضحك معي، ولاحظت أن ضحكات كلينا جزء من محاولتنا أن نخفف الوطء». لاحقا نشرت صافي ناز مقالا في مجلة المصور عن مقابلتها مع درويش بعنوان «قال للناس حوله... كل شيء سوى الندم». عنوان المقال مستمد من قصيدة «المغني» لمحمود درويش.

بعد سنين طويلة أيضا، أضاف الأبنودي بدوره بعض التفاصيل عن تلك الجولة «مشينا من الغورية للحسين للقلعة... ورحنا نتحدث عن عن الشعر وفلسطين وراحت كاميرا المصور «محمود عارف» تتابعنا من انزلاقنا من شارع الى شارع... أنظر قال درويش. وأشار الى كومة ضخمة من الجرائد والمجلات قائلا: كل هذه المطبوعات عامرة بالشتائم والاتهامات الموجهة إلي بسبب مغادرتي بلادي إلى القاهرة، لو أطاع الشاعر جمهوره لما عاش شاعرا لعام واحد، لا يقتل المبدع سوى جمهوره، فاحذر جمهورك، ودع ضميرك ووعي الخاص يقودناك الى ما تراه».

لم يكن الشاب محمود درويش وحده من اتسمت شخصيته بهذه الخلطة السحرية من روح التحدي مع رحابة صدر ساخرة من وقع الهزائم على النفوس آنذاك، بل كانت سمات جيل كامل من المناضلين الشباب مطلع السبعينات . بهذه الروحية إنطلق درويش بهمة ونشاط في ممارسة دوره الجديد في القاهرة؛ باحثا وصحفيًا وشاعرا،



محمد ديتو

1971، إقترح فيه بعض «المهمات» التي يمكن أن يقوم بها درويش من موقعه الجديد بالقاهرة: «أقترح عليك، في البداية، أن ينصب نشاطك في صوت العرب في مجال أساسي، هو البرنامج العبري الذي تستطيع أن تسهم في التخطيط له،

موظفا إمكاناته للاستفادة القصوى من مناخ حرية التعبير والاحتضان الرسمي والشعبي له. بعد حوالي عشرة أيام من المؤتمر الصحفي لدرويش ، نشر الكاتب والأديب أحمد عبدالمعطي حجازي مقالا في «روز اليوسف» بتاريخ 22 فبراير



ثقافة

مفاجئات لم تكن في الحسبان. فبعد وصوله القاهرة بأشهر قليلة تمت إزاحة غالبية من كان لهم دور في قدومه للقاهرة من مناصبهم ضمن سياق ما عرف آنذاك " بثورة التصحيح" في مايو 1971، وحسب تعبير الباحث سيد محمود: «فهم درويش أنه جاء إلى القاهرة في «الوقت الخطأ».. وأدرك الشاعر بحساسيته المعهودة تغير الصورة تماما... تغيرت خريطة مصر التي أمسك بها درويش وهو في موسكو، وتغيرت إحدائياتها بالكامل، وذهب أغلب من التقى بهم إلى السجون وأولهم وزير الإعلام محمد فايق ورئيس "صوت العرب" محمد عروق وبقية مجموعة صوت العرب". ... «وبين يوم وليلة، وجد درويش نفسه في «الظل» لا يعرف مالذي ينبغي أن يفعل؟ وما هي خطواته المقبلة؟» «ضاعف من تعقيد الوضع تصاعد موجة التظاهرات الطلابية الداعية إلى شن حرب ضد إسرائيل (مناخ حرب الاستنزاف)، وبلغت الذروة في اعتصام ميدان التحرير الشهير في يناير 1972.

في تلك الأجواء المشتعلة فكرت مجموعات طلابية في دعوة محمود درويش ليقيم أشعاره خلال فترات الاعتصام داخل الجامعات. تذكر الصحفية منى أنيس كيف أنها ذهبت بصحبة زميلها سمير غطاس (نائب برلماني) وبتكليف من زملائها، لإقناع الشاعر بالمشاركة في أمسية شعرية لدعم الحركة الطلابية». كان موعدهم مع درويش في فندق شبرد، «حيث قام سمير بسؤال درويش بعنف: «لماذا تركت المقاومة وجئت مصر؟». .. إنزعج درويش بشدة من صيغة السؤال وطريقة طرحه، وأشعل سيجارة مالبورو، وحمل أوراقه ومضى».

بالتدريج وجد درويش نفسه في مأزق صعب بدء من عام 1972، فمصر دخلت «عام الضباب» بحسب تعبير ساخر راجع بين الناس آنذاك، وكان الوضع بالقاهرة مشحونا بالتوترات السياسية التي راقبها درويش عن كذب بدون أن يكون طرفا فيها بوصفه ضيفا على بلد أحسن ضيافته في منفاه الأول. لذلك عندما قابله أنيس صايغ وعرض عليه العمل في مجلة «شئون فلسطينية» الصادرة في بيروت، وبراتب شهري متواضع، قبل العرض قائلا: «أنا جاهز للمجيء إلى بيروت فوراً». وهكذا مثلما كانت ترتيبات خروجه من إسرائيل ودخوله القاهرة ضمن اتفاق مسبق مع السلطات المصرية وبتكتم تام، فقد خرج من مصر بهدوء وبلا ضجة متجه نحو منفاه الثاني بيروت.

هل أخطأ في توقيت الانتقال هذه المرة؟



في جريدة الأهرام إلى ثلاثة مواضيع أساسية: أولا مقالات في التحليل السياسي ثانيا مقالات حول الشخصية الإسرائيلية، ثالثا تغطيات لمؤتمرات ومشاركات أدبية حول الشعر. ما يلفت النظر الآن من جملة مقالاته تلك، نص بعنوان «غزة كل يوم» نشره في الأهرام في ديسمبر 1971، وكتبه تفاعلا مع أنباء استشهاد قائد قوات التحرير الشعبية لتحرير فلسطين زياد الحسيني في أواخر نوفمبر 1971. يقول درويش: «لا بريد إلى غزة، لأنها محاصرة بالأمل والأعداء... ورغم ذلك، نقف اليوم، وكل يوم، لكي نصلي لإسمها النادر بين الأسماء... ليس صحيحا قول الإسرائيليين إنهم عاشوا أشد الليالي سوادا في غزة ليلة أمس الأول. كل لياليهم وأيامهم هناك سوداء، لأن جسد المقاومة في غزة مازال ينبض حرائق مرادفة لحضور المحتل فينا... إن غزة تحرر نفسها وتاريخها كل ساعة... ليست غزة كفارة ذنوب، كما يقول البعض، ولكنها نموذج عمل، وإعلان إرادة... يأتي يوم لا تكون فيه غزة اسما نادرا بين الأسماء... شكرا غزة... شكرا غزة».

أن تكون في القاهرة في التوقيت الخطأ إذا كانت القاهرة «موقعا» جيدا لدرويش يستطيع عبرها أن يمارس نشاطه بحرية أفضل بما لا يقاس من بقائه في حيفا، فإن توقيت قدومه بعد وفاة الزعيم جمال عبدالناصر، واستلام السادات لسدة الحكم، سيعني أنه لا بد أن يكون مستعدا لمواجهة

«والذي يقتل في ليل رفح / يولد، الليلة، في فجر جنين / وطني يمتد من جرحي إلى قوس قزح / وطني قابلة للثأرين».

المرحلة الثانية كانت عمله بجريدة «الأهرام»، وهي المرحلة الأهم في محطة القاهرة، حيث خصص له رئيس تحرير الأهرام آنذاك محمد حسنين هيكل مكتباً بالدور السادس وهو الطابق الذي كان يطلق عليه «طابق العظماء» (مكتب توفيق الحكيم لوحده، نجيب محفوظ، يوسف إدريس، بنت الشاطئ ومحمود درويش جميعهم في مكتب واحد). لاحقا سيكتب الكاتب صبري حافظ عن تأثير ذلك علي درويش بقوله "أظن أن هذه التجربة كان لها دور تثقيفي كبير في حياة درويش فقد علمته طبيعة الحراك الثقافي العربي ووضعت في قلب خريطة ثقافية معقدة استطاع قرائتها بمهارة والاستفادة من دروسها فيما بعد" ... راقب محمود العلاقات بين الأدباء «وعرف أيضا طريقه بين ألغام ذلك الواقع. لم يكن يريد أن يكون سلبيا كمحفوظ، ولا متمردا كيويسف إدريس، بل أراد أن يشق طريقا بين الطرفين. وإستفاد كثيرا من دروس تلك التجربة حين انتقل إلى بيروت عام 1973 وكانت غابة متشابكة من القوى الفلسطينية المتصارعة. فاستخدم نكاهه العملي إلى أقصى حد كي يحافظ على مسافة نسبية تفصله عن المؤسسة السياسية».

يقسم سيد محمود مقالات محمود درويش

وفي تحريره، وهذا تخصص، نحن في أشد الحاجة إليه... أقترح عليك، أيضا أن تبدأ مشروعا لترجمة الأدب الإسرائيلي الحديث إلى لغتنا العربية». وشرح حجازي الغرض من تلك الترجمة بقوله «إن أعدائنا يعرفوننا عن طريق كاتب مثل نجيب محفوظ أضعاف ما يستطيعون أن يعرفونا عن طريق أجهزة أمنهم وجواسيسهم. إن الكاتب جاسوس خطير، يقدم معلومات عن النفس التي تفكر وتعمل وتخطط وتراجع وتتقدم وتحارب. ونحن في أشد الحاجة إلى جواسيس من هذا النوع... نحن نريد أن نترجم لنا شعرا... نريد أيضا أن نقرأ آراء مفكرهم في مشكلة إسرائيل كما يعانون منها وتصورون لها الحل». بالامكان تلمس الهاجس الأمني الكامن وراء المهمة الأدبية التي اقترحها حجازي على درويش، وهو أمر يختلف جذريا عن دعوات التطبيع الثقافي مع العدو التي راجت لدى الكثيرين في العقود اللاحقة. ختم حجازي مقاله بأمنية «ومن يدري، يامحمود، ألا يكون مقامك في القاهرة بداية لأن تشعل نشاطا، وتثير روح العمل من أجل ما نطالبك بأن تقوم به وحدك؟». ربما كانت تلك الأمنية بالضبط هي ما سعت له الدولة المصرية آنذاك عبر ترتيبها ورعايتها لاستضافة درويش بالقاهرة، خاصة بعد أجواء هزيمة 1967 والحاجة إلى ما ينهض بالههم ويرفع المعنويات للخروج من حالة الانكسار وشعور الخيبة الذي عم الجميع.

من صوت العرب إلى الأهرام

على الرغم من قصر المدة الزمنية نسبيا لإقامته بالقاهرة (1971-1972) مقارنة مع المنافي الأخرى التي عاش بها، إلا أنها كانت مهمة للغاية في تطوره الفكري والأدبي، خاصة فيما يتعلق باحتكاكه وتواصله مع الرموز الفكرية اللامعة لذلك العصر. يساعدنا كتاب الباحث سيد محمود «المتن المجهول- محمود درويش في مصر» على تمييز مرحلتين في نشاط درويش بالقاهرة. المرحلة الأولى عندما عمل كمستشار ثقافي في إذاعة «صوت العرب» بالتزامن مع كتاباته في مجلة المصور التي كان يرأس تحريرها رجاء النقاش، حيث نشر درويش مجموعة من القصائد، إحداهما قصيدة قصيرة بعنوان «رباعيات» لم تنشر للأسف في أعماله الشعرية لأسباب نجلها، وقام بأعادة نشرها لحسن الحظ، الباحث د. عماد عبده الطروانة في كتابه الرائع «حكاية محمود درويش في أرض الكلام». يقول درويش في مطلعها:

عندما تكتب الروائية نهايتها



حياة شرارة



عنايات الزيات

كتبت لي صديقة روائية معلقة على مقالي «برونتي وشبيهاتها .. رواية واحدة تكفي» الذي تناولت فيه الروائيات اللواتي كتبن رواية واحدة، ولكنها ضمنت لهن الخلود الأدبي وبيعت منها ملايين النسخ. كتبت الصديقة معاتبته لماذا لم أذكر الكاتبات العربيات واقتصر على الغربيات. وضربت لي مثلاً بالروائية المصرية عنايات الزيات. وللتذكير فقد كتبت مقالا قبل أكثر من سنة في هذه الصحيفة بعنوان «عنايات الزيات ... الجزء اللامرئي» تحدثت فيه مأساتها وعن كتاب إيمان مرسال عنها. والحقيقة أن المقارنة ظالمة بين الروائيات العربيات اللواتي كتبن رواية واحدة والروائيات العربيات. تماما مثل المقارنة بين أرقام مبيع الكتاب العربي والكتاب الغربي.

تيار الوعي فيرجينيا وولف التي أغرقت نفسها في النهر، أو الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث التي كتبت بدورها رواية واحدة فقط، وأنهت حياتها بوضع رأسها في فرن غاز، أو أن سيكستون الحائزة على جائزة بوليتزر في الشعر وقد أنهت حياتها اختناقاً بدخان سيارتها. فلكل واحد أو واحدة من هؤلاء الكتاب أسبابه في الانتحار. وإن تشابهت الوسيلة أحيانا، فحياة شرارة وضعت حداً لحياتها بالغاز في حادثة أكثر مأساوية حيث انتحرت معها ابنتها مهي ونجت ابنتها زينب بمعجزة. وقصة حياة شرارة تستحق أن تروى لنتبين الأسباب التي أوصلتها إلى هذا القرار المرعب. فما كان شيء في بداياتها يوحى بهذا المصير إذ ولدت لأب لبناني مثقف كان بيته صالوناً أدبياً يزوره بانتظام الجواهري والسياب ونازك الملائكة وغيرهم من أدباء العراق الكبار، وفي هذا الجو تربت حياة، وانتمت صغيرة إلى الحزب الشيوعي وإن كانت قد تركته تنظيمياً بعد فترة. درست الأدب الإنجليزي،

وإضافة إلى عنايات الزيات التي وضعت حداً لحياتها وهي في ريعان شبابها تاركة لنا رواية واحدة، هناك كاتبة أخرى هي الدكتورة اللبنانية العراقية حياة شرارة كتبت بدورها رواية واحدة، ومثل عنايات وضعت حداً لحياتها. وبغض النظر عن هاتين النقطتين المشتركتين بينهما، فإن ما يفرق بينهما أكثر مما يجمع. فلكل كاتبة ظروفها ودوافعها وتركيبها النفسية، ومن التسطيح الفكري صبهما في قالب واحد.

وظاهرة انتحار الكتاب شغلت علماء النفس والاجتماع ونقاد الأدب مرارا وأسالت حبرا كثير وبخاصة أننا نجد من ضمنهم من تركوا بصماتهم الواضحة في فن الكتابة نذكر منهم إرنست همنغواي أو الشاعر الروسي ماياكوفسي أو حتى أشهر روائي ياباني يوكيو ميشيما الذي انتحر بطريقة استعراضية. والأمر لا يختلف عند الكاتبات فمن اللواتي وضعن حداً لحياتهن الكاتبة البريطانية رائدة



د. بروين حبيب



وقفة

مجد يعقوب

أفواه ودم

أيام قليلة ويمرّ عاماً كامل على الفضائح والتوحش والانتهاكات التي يتعرض لها قطاع غزة.

في نظرة عابرة للشاشات العربية ستجد آلاف الأفواه التي أخذت من تلك الأحداث مادة دسمة تملأ بها ساعاتها الإخبارية وبرامجها التحليلية ومقابلات تشخيصية.

أفواه تعدد الخسائر وحجم الخراب الواقع ووزن المقذوفات وأرقام الأرواح البشرية التي قضت جراء كل ذلك. أفواه تسبشش وتتأمل بالوعود الزائفة التي لا تتحقق.

أفواه تصرخ وتتأثر ولا من مجيب.

أفواه للأمهات التكالي والأطفال الفرعين والآباء الذين فقدوا الحيلة للتغلب على المصاب المفجع.

أفواه وأفواه وما أكثرها، تتزايد مع كل كارثة تقع فوق رأس العالم العربي يكثر فيها المتفوهون والمحللون والخطابيون والصارخون والمؤيدون والرافضون والواقفون على الحياد.

بالطبع لا غرابة بالأمر، حسب لفظة المصريين الطيبين (بوء) ما يعني أنه كلام في كلام، لا فعل جدي يفعل.

قد يتساءل القارئ ربما هناك خطأ في تركيبة عنوان هذا المقال بين جمع فاه ومفردة دم.

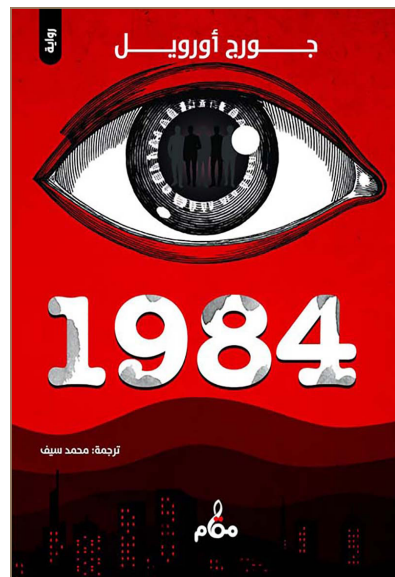
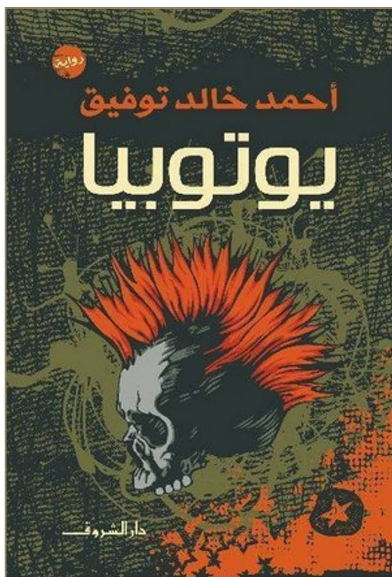
نعم إن جاز هذا الخطأ فإنه خطأ متعمد. الأفواه التي تتشدد عديدة وما أكثرها، بينما الدم الذي يراق واحد، إنه الدم الفلسطيني.

رفعت الجادرجي حسمت اللغظ حول هذا الموضوع. وإذا كان تاريخ ميلاد حياة شرارة (1935) وعنايات الزيات (1936) متقاربا، فوفاتهما متباعدة حيث ماتت حياة شرارة وهي في الثانية والستين من عمرها، أما عنايات الزيات فقد وضعت حداً لحياتها مبكراً إذ لم تكن تتجاوز السابعة والعشرين من عمرها حين تناولت علبتين من الحبوب المهدئة وفارقت الحياة. وقصة حياة عنايات الزيات أكثر إثارة من روايتها، وما كان الاهتمام بها يعود بهذه القوة لولا أن شاعرة وأكاديمية مصرية مقيمة في كندا تدعى إيمان مرسل اشترت رواية عنايات الوحيدة «الحب والصمت» بجنه من سور الألبانية، وبعد عقدين من الزمن بدأت رحلة تتبع بها أثر هذه الروائية المغمورة، فتواصلت إيمان لتجميع قطع بازل حياة عنايات بصديقتها الحميمة وجارتها التي درست معها في المدرسة الألمانية الممثلة المشهورة ناديا لطفي، حيث حصلت منها على وثائق وصور ومراسلات بخط عنايات كانت علامات على طريق رحلتها للوصول إلى ما حدث لهذه الروائية، كما تواصلت مع عزيمة الأخت الصغرى لعنايات ومع الجيران القدامى في كتابة استقصائية مثيرة للإعجاب كانت حصيلتها كتاب «في أثر عنايات الزيات» الذي نالت عليه سنة 2021 جائزة الشيخ زايد للأدب وترجم إلى لغات عدة، ومن كتابها نُسقط فرضية أن عنايات الزيات انتحرت لأن الدار القومية رفضت نشر روايتها التي نشرت بعد أربع سنوات من وفاتها ثم اقتبست في فيلم سنة 1973 بطولة نيلي ونور الشريف إخراج عبد الرحمن الشريف، فعنايات كانت امرأة تتعالج عند طبيب نفسي من الاكتئاب عاشت زواجا فاشلا تطلقت منه بعد مشاق كثيرة وحتى لما تطلقت كانت مهددة بفقدان حضنة ابنها الوحيد منها، وفي الرسالة التي تركتها بعد انتحارها لم يكن فيها ذكر لروايتها بل طلبت فيها السماح من ابنها الصغير لأنها لم تعد تتحمل الحياة القاسية. وقد لحقها الظلم حتى بعد مماتها حين أحرقت عائلتها أرشيفها بما فيه مسودة رواية ثانية حول المستشرق الألماني كايمر المختص في المصريات بعد أن تعرفت على آثاره لما كانت مسؤولة عن أرشيفه بالمعهد الألماني للآثار، كما أحرقت العائلة يومياتها ورسائلها أيضا. ولعل ما يفاجئنا في قصة عنايات الزيات أن إيمان مرسل توصلت إلى أن روايتها «الحب والصمت» تدخّل فيها البعض وجعل خاتمتها إيجابية مجارة للتوجه الناصري الذي كان طاغيا وقتها، بل حتى قبرها لم يسلم من التخريب فكسرت شاهدها لأن الحارس المقبرة يريد أن يحول مدفنها إلى غرفة يسكن فيها.

ما بين الهم الجمعي الذي أدى إلى انتحار حياة شرارة، الهم الخاص الذي لأجله أنهت عنايات الزيات حياتها، حكاية امرأتين كانت قسوة الحياة أشد من قدرتهما على الاحتمال، وكل واحدة فيهما قالت في نفسها ما قالتها فيرجينيا وولف المنتحرة قبلها «لست قادرة على المقاومة بعد الآن».

وحصلت على دكتوراه من موسكو عن أدب تولستوي، وكان يمكن لحياتها أن تسير كما تشتهي فلقد تزوجت بجراح عظام شهير وأنجبت بنتين ودرّست الأدب الروسي في الجامعة وأصدرت عنه ترجمة وتاليفا عدة كتب منها «تولستوي فناناً» و«مدخل إلى الأدب الروسي» كما كتبت عن جارتها الشاعرة نازك الملائكة كتابا. غير أن النظام العراقي الحاكم آنذاك بدأ بمضايقتها فنقلت من التدريس في الجامعة إلى العمل مترجمة في مشروع صناعي بعيد عن بغداد ولكنهم اضطروا لإعادتها لأنهم لم يجدوا من يحل محلها.

وما زاد الوضع مأساوية سجن زوجها مرات عديدة ومضايقته، واشتدت سيطرة النظام واتباعه على الجامعة فكانت تُحصى عليها أنفاسها، فتلقى محاضراتها ومجموعة من الطلاب الأمنيين يرفعون عنها التقارير، وخاصة أنها كانت تعمل أيضا في القسم العربي لوكالة «ناس» السوفيتية. وزاد الحصار الذي ضرب على العراق من عزلتها، فقد كانت آثاره كارثية على الطبقة المتوسطة، فلا الوسط الأكاديمي كان سليما ولا الوضع الاجتماعي أصبح مقبولا. حاولت مرارا السفر خارج العراق لكن طلبها كان يرفض بحجة أن لا محرم معها بوجود زوجها في السجن، وحُجبت كتبها وضويقت أكاديميا، وتحولت تلك الشعلة المتقدة من النشاط إلى كائن هش محطم، ولعل روايتها الوحيدة «إذا الأيام أغسقت» التي كتبتها قبل رحيلها عن هذا العالم بأربعة أشهر كانت وثيقة نادرة سجلت تحولات الجامعة في ظل النظام البعثي الحاكم آنذاك، فصوّرت الدكاترة المقهورين والطلاب المخبرين والخوف الكاتم على الأنفاس إلى درجة خوف الإنسان من نفسه إذا تكلم بصوت مسموع. ولا أحسبها إلا تصف نفسها على لسان أحد أبطال روايتها حين قال «ماذا تعني الكتابة إذا أصبحت بلا غاية! أعني إذا لن تستطع أن تنشر ما تكتبه وتوصله إلى الناس! ما قيمتها إذا ظلت محفوظة في أدراج مكتبك أو على الرف؟.. إن كل ما يمكن أن أملّه هو أن ينشر نتاجي بعد موتي، إذا حالفه الحظ!». في هذا الجو من الرعب والخوف المتواصل والمراقبة من «الأخ الأكبر» كما في رواية 1984 لأرويل «شعرت حياة أنها محاصرة من جميع الجهات، فطلبت عندئذ إحالتها على التقاعد، رفض العميد طلبها، ثم قدمت طلبا للسفر مع ابنتها خارج العراق، ورفض طلبها» كما كتبت أختها بلقيس، وحُرمت مهى من وظيفة تستحقها فقط لأنها ابنة حياة شرارة، فلم يبق أمامها من حل سوى أن تنهي حياتها مع ابنتها بطريقة تراجيدية وصفتها أختها في مقدمتها الطويلة لرواية «إذا الأيام أغسقت» قائلّة «عندما شاهدت مهى ممددة في الحمام أمامها، خيم اليأس بفيكها ولا أمل من أن ينقذها من أظافره التي غرست بعمق تنهش أحشاءها. وأدركت أن كل شيء قد انتهى، دخلت الحمام وأوصدت بابه، وغادرت إلى العالم الآخر»، وقد أشيع أن النظام هو من اغتالها غير أن تأكيدات أختها بلقيس شرارة زوجة المعماري الشهير



«الديستوبيا» .. الإنسانية على شفير الهاوية

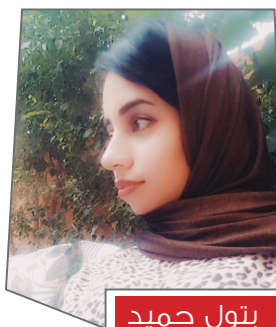
في الوقت الذي نستشعر فيه مفارقات الحياة الصادمة؛ يرسم أدب «الديستوبيا» صراعاً سردياً في مواجهة واقع تعيس لعالم يسكنه الدمار ويسيطر عليه الظلام بعد موت الإنسانية. عالم يستमित فيه المحاربون بغية بناء قوى خارقة ومباريس قاتلة، بينما تنخرس أقدام من تعوزهم إرادة المواجهة في وحل الخضوع والعجز والاستسلام، مرسخين الخراب وكأنه قدر حتمي، فكيف يعكس الأدب هذا الواقع؟

عامة، أو تكميم الألفاظ وحنق حرية التعبير، أو في انهيار سياسي. ومن هذه الزاوية تتجلى «الديستوبيا» الكيفية التي يتحول بها الخيال الرشيق في الأدب إلى نذير شؤم ثقيل ومثير للرعب، وكيف يتأرجح بين الحلم البعيد للمدينة الفاضلة والواقع المترهل والملىء بالجروح. كما تميظ القناع عن الكيفية التي تبحر من خلالها شخصيات البناء الحكائي في أعماق هواجس ومخاوف لا نهاية لها من مستقبل قاتم، ينبعث من واقع بائس تراجع عن الوعي بموقعه الحقيقي من التحولات التي يفترض أن تكون منقذة لنا والآخر، وتسقط في جوف عالم على شفير الهاوية.

وبالتالي يبدو هذا النوع من الأدب الذي نجح في التكهّن باستفحال معوقات شتى كالتلوث والفقر والانهيار المجتمعي وسيطرة الأنظمة الشمولية، حالة من العجز عن تبديل شروط الواقع، والاكتفاء باستلهم تنبؤات سوداوية عن نتائج المستقبلية وتجاوز حتمية هذا المصير. ولعل صعوبة إحداث تغيير في الواقع وإيجاد مخرج حتمية لمآزقه والفشل في استيعاب شروط المستقبل الآمن هو ما يبعث بمثل هذا الخيال الغارق في التشاؤم. مما يعزز ربط هذا اللون - تخيلاً وقراءة - بأوضاع عسيرة قد تكون سياسية أو اقتصادية أو صحية.

ومما يضخم هذا التوجه الفكري في الوقت الراهن - بحسب الكثير من النقاد - طغيان تكنولوجيا المراقبة والتقاط المعطيات والوعي المتزايد بالإمكانات التي تتيحها التكنولوجيا لانتهاك الخصوصية والتأثير في الأهواء والميول والمواقف في مجالات عدة أقربها الاقتصاد والسياسة، يقابلها إدراك مماثل بتنامي المخاطر البيئية والبيولوجية، إلى جانب اتساع مجال الانتشار السريع للمعلومة الصحيحة والزائفة، ومن جانب آخر الميل الذي لا يمكن اغفاله إلى التمجيد والثقة في المعطيات العلمية، وهي عناصر تشكل المد العلمي لإغناء المتخيل السردى للديستوبيا.

بين خيال موغل في التشاؤم يبق بالاحتمالات المقبولة على المستوى العلمي، وآخر يتجاوز كل ذلك ليحلق بعيداً خارج كل الضوابط، توجد مسافة متاحة بين الحقيقة الممكنة والعجائبي الخارق. ينسج «أدب الديستوبيا» البعض من سردياته مستندا على الخيال العلمي، المزوج بكثير من الظلال المظلمة للتنبؤ بعالم يحكمه الشر ويسوده الدمار وتحتضر فيه معاني الإنسان والفضيلة.



بتول حميد

يخال أغلب النقاد أن أدب «الديستوبيا» تمكن من تأسيس نوع أدبي متكامل الأركان من رواية «1984» للروائي البريطاني جورج أورويل. راج «أدب الديستوبيا» مع بزوغ الثورة الصناعية واستفحال الفوارق الاجتماعية، وبعد الحربين العالميتين وما رافقتها من تداعيات كارثية على أكثر من مستوى، ظهر هذا اللون الأدبي كتيار تشاؤمي عديمي، استلهه الأديب الروسي يفغيني زامياتين بروايته «نحن» التي صب فيها مرارته من نتاج الثورة الروسية، حيث صور مستقبل عالم فاقد لخصوصية البشر فيه، ما داموا يحيطهم الزجاج من كل جانب، خاضعين ببسر وطواعية للرقابة السياسية والاجتماعية، مفتقدين لما يصوغ هوياتهم كبشر، محرومين حتى من الكنية، إذ يتم التعامل معهم كمجرد أرقام ترصد في الإحصاءات الرسمية.

ويستدل بعض الدارسين لهذا النوع الأدبي إلى تأثير رواية «نحن» على رواية أورويل «1984»، وما سبقها أيضاً من دور فاعل لرواية الكاتب التشيكي فرانس كافكا «المحاكمة» في تأهيل انطلاقة هذا التيار الفكري والأدبي.

وبتفحص العناوين الأدبية، يتضح أن جنس الرواية يطغى على باقي الأجناس ويمتد من خلالها إلى الأفلام والدراما. جرى تسونامي الروايات العربية «الديستوبية» التي تتوقع مصيراً أكثر سوداوية. وتؤكد غالبية كتابات هذا اللون الأدبي على أهمية عدم تصنيفه تحت ما يسمى بأدب «نهاية العالم» الذي يتناول كارثة - قد تكون طبيعية أو بيولوجية أو نووية - في وقت ينصب فيه تركيز «الديستوبيا» ضمن كل هذه المآسي على موت الإنسانية.

تُظهر «الديستوبيا» الوجه الآخر للأخيلة الأدبية حين تنتبأ بمآل مدينة منهاره، بدءاً من قبج الدمار المعماري مروراً بالتهور التام للنظام وللقيم، وصولاً إلى العدمية وفقدان إنسانية الإنسان. إذ لا يملك خالق السرد أمام الفجائع إلا إرسال صرخات استغاثة من حاضر بالغ القسوة، وإطلاق أجراس الإنذار من قادم كارثي أكثر إيلاماً.

يرى النقاد أن اللوثة الأساسية في لون الرعب داخل النص الأدبي «الديستوبي» قد تتجسد إما في حروب نووية، أو انفجار ديموغرافي، أو استنزاف للطبيعة، أو تحوّل ظاهرة الفساد إلى مؤسسة



والمراقف؛ وما يتدافع نحوها وبينها من زوابع. يؤكد النقاد أنه إذا كان القرن العشرين هو "العصر الذهبي لأدب الديستوبيا، فإن القرن الحادي والعشرين هو العصر الذهبي للديستوبيا الحقيقية المتجسدة على أرض الواقع، ديستوبيا الدول الفاسدة، ديستوبيا الحرب والدمار" والأوبئة المستعصية وما يترافق معها من تباطؤ أو ركود اقتصادي. وهو وضع لم يعد بالدليل القطعي يستثنى أحداً لأن المحنة باتت عالمية. وتتراحم الروايات العربية "الديستوبية" التي تلحن في العمق شروط واقع قائم وتتنبأ بمصير أكثر سوداوية يلف خلاله الفساد والخبث والأوبئة وجه المدينة العربية ويكبل سكانها في قلب مستقبل مقلق محفوف بالخوف من المرض والقمع والتكثيف والزراعات المادية المجنونة وغيرها.

ويمكن في هذا الصدد، مثلاً لا حصراً، استحضار رواية «حرب الكلب الثانية» للروائي الفلسطيني إبراهيم نصرالله، و«اللجنة» للروائي المصري صنع الله إبراهيم، ورواية «وليمة أعشاب البحر» للروائي السوري حيدر حيدر، ورواية «يوتوبيا» للروائي المصري الراحل أحمد خالد توفيق. غير أن ما يميز الرواية العربية «الديستوبية»، والتي لا يزيد عمرها عن عقدين، هي أنها لا ترمي بنفسها كلية في أحضان نظيرتها الغربية، ولا تحلق كثيراً في مراتع الخيال العلمي المجازف، كما أنها لا تطل على قارئها بقصد الترفيه، إنما تتأسس بحسب قراءات تحليلية على نوع من الالتزام بالواقع السياسي والاجتماعي وتحذر من استمراره وترديه.

وتتوارد عند مقارنة الأعمال المصنفة ضمن هذا النوع الأدبي أسئلة متعددة، لعل أقربها البحث في مدى ما يملكه تنبؤ النص السردي بمستقبل فاجع من قوة على منح الإنذار الكافي ليتم استدراك الأمور قبل أن تتوّل إلى الأسوأ، وحيز واقعية ومصادقية هذه التنبؤات، وكذا القيمة الأدبية النوعية التي تملكها هذه الأعمال أو تبشر بها ضمناً، خاصة على مستوى المشهد العربي. أسئلة كهذه وغيرها كثير تفرض بالدرجة الأولى أبحاثاً وقراءات محايدة للنصوص الروائية، وحرى بها من هذه الزاوية أن تثير شهية النقاد وأيضاً الباحثين على مستوى أكاديمي.

حتى أولئك المصنفين منهم في عداد النخبة ما داموا مبرمجين جميعاً ليكونوا ما هم عليه، لا يملكون البتة اختيار ما يودون فعله بحياتهم.

وتوالت عن هذه الصورة للمدينة الفاسدة نماذج «لديستوبيا السياسية» تأخذ من ذات المستنقع، ما كشفت عنه الرواية التأسيسية الأخرى لهذا اللون الأدبي لجورج أورويل «1984» حين رسمت حياة سكان مدينة يعيشون تحت حكم استبدادي وضغوط من القهر والمحاسبة، محرومين من أبسط ما تمنحه الحياة من حرية، محاطين بكاميرات مراقبة وضعها النظام لترصد جميع تحركاتهم وأفكارهم.

كثيرة هي الروايات التي تندرج ضمن نفس اللون الأدبي الذي صنّفه بعض النقاد بـ«الديستوبيا الثقافية» من قبيل رواية «فهرنهايت 451» للروائي الأمريكي راي برادبوري (2012 - 1920) والتي توقع فيها أن تشهد الولايات المتحدة والعالم عودة لحقبة من الإرهاب الفكري والثقافي المطلق من أحكام سياسية مسبقة ومواقف شمولية. وترجم الرواية الصادرة عام 1953 هذا الطرح من خلال تصويرها لمستقبل يُمنع فيه تداول الكتب بشكل كلي، ويتم إحراقها إن وجدت على درجة 451 فهرنهايت، ليتم الاستعاضة عنها كلياً بالتلفزيون.

ويعتقد بعض الدارسين أن ازدياد عدد الروايات العربية الديستوبية في الآونة الأخيرة قد يعلم بأن هذا اللون الأدبي الذي سمي لاحقاً بأدب ما بعد الثورات، اقترب من أن يكون ظاهرة عربية بامتياز، يصبو إليها من عمق المعاناة البحث عن جواب لسؤال وجودي مؤرق «ماذا بعد؟».

والإجماع ثابت لدى النقاد على أن جملة من أزمات وإحباطات الواقع العربي على أكثر من صعيد، وما صنّعت من تحولات بنيوية في التركيبة السوسيو-ثقافية هي ما كان وراء تنامي حجم الكتابة في هذا النوع مدفوعة بخلفية تاريخية لا خلاف حول ما تنسم به من صعوبات شديدة التعقيد. وهي صعوبات لا تكفي بما هو من قلب دائرة رقعة الوطن العربي وهواجسه أنا واستقبالاً، بل تشمل أيضاً في ظل عولمة المآسي والصفعات ما يطال باقي بلدان العالم وما تعصف به الرياح في كل الشطآن

غير أن التماهي في مفارقة حدود الإمكان ينتقل بالسرد من منطق الخيال العلمي في آفاقه الرحبة ليقرب به من النفس العجائبي.. ويظل هذا التراوح عند التماس بين حدود العجائبي والإبحار في الخيال المطعم بخلفيات علمية محكاً لحدس مدى توازن السرد، مما يضع القارئ في دائرة القناعة باحتمالية تحقق تنبؤاته، ما دامت تنبني على حد معقول من أحكام ذات مرجعية علمية.

ولعل المفارقة تظهر في الوقت الذي تنذر فيه «الديستوبيا» بمآسي مدينة مقبلة على الانهيار، فيما تبشر فيه «اليوتوبيا» - كلبنة تاريخية بديلة ميتغاة - بمدينة فاضلة آمنة ومستقرة يسودها والخير والبهجة والسلام، وتحتكم إلى مبادئ الأخلاق في مقدمتها مدينة أفلاطون التي كشف عن معالمها في محاوراته السياسية تحت مسمى «الجمهورية».

ولم يقف الحلم بهذه المدينة عند الثقافة اليونانية بل عُرس في كتابات من ثقافات عدة، بما فيها الثقافة الإسلامية، واغتنت ملامحها عبر ذلك بزمن بعيد قبل أن يجهر السياسي والفيلسوف والمؤرخ والروائي توماس مور في كتابه «يوتوبيا» برؤيته عن مدينة تنشأ على نموذج اجتماعي وسياسي جديد ينظم حياة الأفراد وفقاً لمبادئ العدالة والحرية والمساواة، ويرسخ أعراف وقواعد تحثي بالخير للجميع وتحفل بالطبيعة وتدعو إلى حمايتها، لتنجح ببناء شخصية مواطن ملتزم بأحكام قانون هو من ساهم في صياغته أساساً.

وفي الطرف الآخر النقيض بدت رواية «عالم جديد شجاع» للكاتب البريطاني أدوس ليونارد هكسلي لتندرج بوضوح تحت «أدب الديستوبيا» وتتنبأ بعالم يتمادى فيه الباحثون في توظيف هندسة الجينات والاستنساخ بغية السيطرة على الأفراد، عبر التحكم في طبيعة الولادات وفق تصميم مراد له أن يسفر عن 5 فئات اجتماعية - النخبة، التنفيذيون، الموظفون، وفئتان يتولى أفرادهما القيام بالأعمال الشاقة- وهي فئات يتم توصيفها بالأبجدية اليونانية «ألفا، بيتا، غاما، دلتا وإبسلون».

وفي هذا المشهد السيريالي تمخض الصورة عن نظام شمولي يستخدم القمع ويعدم أبسط الحريات الطبيعية، ويحكم سيطرته على الجميع في سجن واسع مفتوح، يسكنه عبيد بدون استثناء



«ماي ورد».. رائحة النوستالجيا

منذ بدأت السينما في البحرين على يد المخرج بسام الذوادي، في أول فيلم بحريني، (الحاجز) الذي كان حدثاً متغيراً بامتياز؛ إذ فتح الأبواب نحو بداية فكرة صناعة لم تتحقق للآن، رغم الإرهاصات والتجارب السابقة الأخرى المتعلقة بإنتاج شركة ديزني لفيلم «حمد والقراصنة». لكن تجربة الذوادي - في فيلمه الروائي الأول - أفرزت مجموعة من الشباب البحرينيين المبدع، المعتمد كلياً على ذاته في إنتاج الأعمال ودعم الجهات المختلفة، دون أن يكون لهذا خارطة واضحة من جهة تتبنى تميّز الأسماء التي تشارك في المهرجانات العالمية، مُبرزة اسم الدولة في محافل لا تعرف منطقة الخليج، إلا حين يُذكر أنها قريبة من المملكة العربية السعودية، أو دبي!

(الذي قام بدوره جمعان الرويعي بتمكّن) يحاول أن يرث عمامة والده، بلا دراسة متعمقة في الدين، أو حتى موهبة في الصوت، شخصية أنانية في الظاهر، ومتخبطة من الداخل، لا يعرف هل ورث التدين أم الوظيفة من مشيخة والده الدينية؟ وعلى المستوى السلوكي، لا يبدو متأثراً بتعاليم الدين - أي دين حقيقة! - فيستولي على جزء من دخل البيت بلا حق؛ حيث يحاول تمرين صوته للقراءة الدينية التي يشعر بها بمكانة يشعر باستحقاقها دون أن تكون كذلك، وهو سيء الطبع مع الجد، ومع الزوجة، ومع الأم بشكل مفرط. وحتى في إطار الزواج، لا يبدو الأمر بريئاً، فثمة إشارات لعلاقات خارج الإطار.

ومنظر، عائد من تجربة رهيبه وراء قضبان السجن، بعد رحلة عناء جعلته رهينة للذعر والذاكرة المشحونة بعدابات لم يفصح عنها. لكن أداء حسين عبدعلي المسرحي بامتياز، استطاع الإيغال في هذه الحالة، تخدمه تقنية الـ Close up التي تدعم انفعالاته غير المعلنة، وهو الذي يبذل أضعافها على خشبة المسرح ليصل إلى الدرجة نفسها من التعبير. أما فاطمة، المرتبطة بابن الجيران ذي الأصول الفارسية، والذي تمنع والدته هذه الزيجة؛ ليس بحجة اختلاف العرق، وإنما لأن البنت تحمل مرضاً وراثياً قد تنقله لأولادها، وتستعرض كل هذه الخطوط بمهارة النوستالجيا، لفترة وملامح لم تُخدم درامياً كما يجب. ورغم عدم وجود جماليات، سواء على مستوى موقع التصوير، أو حتى الأحداث، لكن ربما اختيرت هذه الحقبة حتى تتوسط بين فترة بيوت الطين والبيوت الحديثة، وإشارة إلى فترة مهمة حدثت خلالها تغييرات كثيرة في المجتمع البحريني على وجه التحديد.

تسير الأحداث بوتيرة منهج واقعي ممزوج بالطبيعي، كأنّ هناك كاميرا

والتجربة الأخيرة للمخرج محمود الشيخ، عبر فيلمه «ماي ورد»، الذي أنتجه وشارك في كتابته بالإضافة إلى محمد عتيق، تجربة جديدة، ليس على مستوى التجربة السينمائية في البحرين، بل على مستوى الدراما بشكل عام؛ ذلك أنه صدر بشكل كامل بمكوّن رئيس من المجتمع البحريني، وهو أمر إن لم يكن مستحدثاً، فهو لم يقدم بهذا الحجم في الدراما بكل أنواعها، إضافة إلى ظهوره الفج في بعض الأعمال التلفزيونية. فمسألة اللهجة الرسمية «الوحيدة» ليست محصورة بالبحرين، بل مرتبطة بكل البلاد التي تتعدد فيها اللهجات، بينما تنصدر لهجة العاصمة - غالباً - مثل القاهرة ومسقط وغيرهما. وتعدد اللهجات - بلا شك - هو أمر محمود، يعكس - ببساطة - التعددية الموجودة في المجتمع كما هو.

يدور الحدث في بيت مريم، الأرملة التي تزوجت مجبراً الشيخ جعفر، وترك في عهدها عباس ومنتظر وفاطمة، وهناك أيضاً الجد، وزوجة عباس، وابنتهما مريم. لدى كل منهم خط منفصل يجتمع عند الأم، والحياة تبدو متأججة، برغم السكون الظاهر على التصرفات التي تنتهج الطبيعية الصرفة في بعض المشاهد. الزمن لم يكن ظاهراً بشكل كاف؛ فلا أحد يدرك أي وقت هذا. البيت مبني على هيئة بيوت السبعينات والثمانينات؛ حيث الحوش الواسع، والغرف ذات النوافذ الواسعة تطل عليه، والملابس، وشكل أثاث المنزل، وطريقة العيش، والحياة اليومية الممارسة، كلها تدل على التوقيت، لولا ظهور إشارة وحيدة وصريحة لجهاز الهاتف النقال الذي يدل على حقبة نهاية التسعينات، أو بداية الألفية، وظهور أبراج اتصالات في المشهد البانورامي الأخير أيضاً، ولأجل كسر السكون السائد، يختار المخرج أن يوقظ قلب الأم/ الجدة المتأجج بحب سابق، عبر إعادة طلب الزواج. ولو لم تكن هذه الفكرة، لسار كل شيء كما هو: عباس



زهراء المنصور



مثبتة ترصد أحوال هذه الأسرة: عشاء بسيط / أكل جماعي في توقيت واحد / صحون مشتركة / حميمية في العلاقة، حتى لو جرّها عباس إلى منحى مزعج، إلى حين ظهور الحب القديم (حبيب) عبر الأخت الوسيطة؛ حيث تغيّرت الأحوال. ماذا لو كان حبيب فكرة؟ يعني أن يكون هذا الصوت الظاهر من الهاتف، ونكتفي بردود فعل مريم الكفيلة بإيصال مشاعر اللهفة، والرغبة، والعيون التي لمعت بعد انطفاء طويل. في الواقع، لم يكن لظهور الحبيب المادي أي تأثير، ولو اكتفى المخرج الشيخ بإظهار جزء من بروفايله دون حوار ليضع المشاهد في خانة التأويلات، كما حصل في أكثر من موقع في الفيلم، لأضاف الغموض المطلوب للشخصية، وأشرك المتلقي معه في مسألة (لم هذا القرار؟) و(ما أهميته وتأثيره وإضافته لحياة الجدة الراضية القانعة؟). توقيت التغيير لدى الأم كان مرهوناً بظهور الحبيب القديم. فلا تبدو على مريم أي آية من آيات التطلع للزواج، أو لغير الحياة الروتينية بين أولاد وحفيدة، والاهتمام بشؤون البيت اليومية الصغيرة، بعكس شخصية شقيقتها التي تصف نفسها بقوة الشخصية لأنها اختارت أن تتزوج ثلاث مرات مؤمنة أنه حقها في الحياة.

ولأنه عمل بحريني خالص، ففكرة الهوية بتفاصيلها حاضرة في المجتمع الشيعي، عبّر عنها الفيلم في تفاصيل كثيرة؛ مثل اللهجة التي تطرقنا إلى الحديث عنها، والتي بذل فيها الممثلون جهداً كبيراً ومقدراً، لكنه غير كاف في مواضع معينة، برغم الأداء التمثيلي الرائع لكل الأدوار بالفيلم، بداية من مريم زيمان التي قبلت بشجاعة أن تكون أما للرويعي، وربما هذا يشرح زواجها الجبري في سن مبكرة ربما، ودانة آل سالم، وكل من تفانى لتقديم الدور بصورة جيدة، وبغير لهجته الأصلية، لكن يبقى أن المزيد من التدريب كان سيظهر العمل بشكل أفضل بالتأكيد.

هناك أيضاً الهوية في التعدد العرقي بين عائلتي فاطمة وجارها، وعبر صوت الغناء في جلوة عروس الجيران في مفتتح العمل، واستخدامها ثيمة في الفيديو الترويجي للفيلم، وصب ماء الورد على قدمي العروس المنقوشة بالحناء كتقليد معروف في هذه المناسبة، وفي مرض السكر / فقر الدم المنجلي الذي يبدو علامة بحرينية منذ استخدم ثيمته الكاتب والسيناريست البحريني الراحل فريد رمضان في أكثر من عمل أدبي له، عدا التفاصيل الأخرى الدقيقة؛ مثل أزياء الممثلين التي لا بد أن تشبه طبيعتهم وحالتهم المادية التي يدل عليها حال البيت ذي الجدران المتشققة، كأنه تعبير عن نفسيات شخوص أهله. لكن التفاصيل الصغيرة المعنية في طريقة لبس الحجاب لزوجة عباس السورية (ريم ونوس)، والذي يهيئ نفسه لمكانة دينية لها تفصيلاً ملفتة، وكذلك في محافظة الابنة فاطمة على التمسك بتغطية كامل اليد عبر قطعة خارجية تحت العباءة السوداء التقليدية، والأظافر الكادحة غير الملونة، ورف سجادات الصلاة وترب وكتب دينية، وسجادة في منتصف مكان تجمع العائلة.

هذه التفاصيل الشكلية التي تراكمها العين من أجل التركيز على ما تعانها مريم تحديداً، فهي أساس القصة، ويبدو أن حبيب هو قشة النجاة من ألم غير ظاهر، لكن يبدو أنها غصة قديمة متعلقة بعدم التقدير، في كونها تعيش حياة موازية للحياة التي كانت تتطلع إليها برفقة شريك تختاره بنفسها؛

الطبيعي، المناسب لأجواء العمل بطبيعة الحال، نشير أيضاً إلى مسألة التلامس بين الممثلين، والتي كان من المحبذ أن توجد لها حلول إخراجية مقنعة أكثر؛ حيث محدودية تلامس الممثلين -ذكوراً وإناثاً- هو أمر مقدر ومحترم، لكنه قد يجعل الفعل غير منطقي، مثل مشهد استقبال منتظر بعد خروجه من سجنه، والاقتراب الحذر من والدته وأخته، تقوُّص الاندماج من المشهد، ليتذكر المشاهد أنهم ممثلون أمام كاميرا تصوير. ولو أن منتظر عامل الجميع بذات الشكل، ليخلق وهم الخوف من الاقتراب من الآخرين -كأحد تبعات سجنه- ومبرراً لعدم التلامس، لولا أنه احتضن جده بشدة، ليحسب مشاهد الفيلم البعيد عن بيئة الخليج والعرب عموماً سيعتقد أنها الطريقة المعتادة للعلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة؛ وهذا الرأي لا يعني على الإطلاق كسر العرف بالحفاظ على المسافات، بل بالتفكير في حلول مبتكرة وإبداعية لتوصيل الفكرة في أحسن شكل ممكن.

سيكون هذا الفيلم في دور العرض السينمائية في الفترة القريبة القادمة. كتب هذا العمل، كما أشرنا، محمد عتيق بالإضافة إلى محمود الشيخ الذي أخرجه وأنتجه أيضاً، بمساعدة كتيبة كبيرة من الأيدي والطاقات البحرينية المتعاونة، وبالتأكيد هم مصدر فخر كبير، ويستحقون الحكم العادل والتقدير على تجربتهم المميزة.

ولأن الفكرة الرئيسية هي في استيعاب زواج الأرملة أو المطلقة بالذات حين تكون تقدمت في العمر، بحيث أصبحت جدة. ولا داعي للتذكير بأن هذا الأمر ينطبق على الإناث فقط. فالذكر له حق الزواج في أي عمر، ووضع، وحالة، دون انتقاد. بينما تتعرض مريم المسالمة إلى تدخل المجتمع برمته؛ من كتابة رسائل مسيئة تخوض في العيب وعدم جواز الأمر، أو تدخل زوجة شيخ الدين الفلاني (شذى العصفور) التي تستمد قوتها منه، وتقدم خصيصاً لتوجيهها نحو رفض المسألة "لأن عندنا ما يصير"! عدا رفض الأبناء الذكور السافر، وتحايل والد زوجها الراحل (يحيى الشيخ) من أجل إفشال الموضوع، وبعدها لا عجب إن رأت مريم نفسها في المرأة الوحيدة في الفيلم بشكل مشروخ وغير حقيقي، وربما كانت دالة على نظرتها لذاتها من الداخل.

يشير العمل أيضاً إلى ثيمة الماء المهمة، وذات المعنى، وذلك في المشاهد التي طالت معنى التجديد، وإعادة التفكير، قدمها المخرج ثلاث مرات في استحمام أبطاله: منتظر بعد السجن، مريم وهي تستعد لزيارة حبيب وأهله، جعفر في منتصف أفعاله التي لا يبدو أن الماء أو غيره سيكون له أثر أو معنى، وأخيراً غسيل حوش البيت الذي اشترك فيه الجميع بحماس ورضا في نهاية الفيلم.

وبينما أشرنا في أكثر من موقع إلى استخدام الأسلوب الواقعي /



التقدمي

التقدمي العدد 203 . أكتوبر 2024 السنة 22 499 SDPA | رئيس التحرير: د. حسن مدن - مدير التحرير: فاضل الطيبي - سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

شجن يمضي



عبدالحميد القائد

المجهول يُحاصرني
كلماتي تجرني نحو الخفايا
فهل ظلّ ما تبقى
من بقاياي ينطق
القادم الذي لم يأت
لن يأت
وانا رميتُ انتظاري
في فم الذئب
الذئب فرّ إلى البيداء ينتظرنني
الغد كومة غضب
ربما عدما غامضا
لا يُشبه الموت في تقاطيعه
فأنا عصي على الإنتهاء
لذا سأبقى أترقب برق الله

فأنا يعشقني حزني
ما عدتُ أعشقُ شيئا
اعتزلتُ الأماكن واعتزلتني
أنا الذي اعدو نحو العدم القادم

شجنٌ ينتشر
شجنٌ ينتشر
سحقا لعالم لا يفهم لغتي
أنا الذي عشقتُ اللغة السحرية
تصفعني الجدران
وأنا ابتسمُ احتراقاً
فاتحاً قميصي
تسألني النادلة عن قهوتي:
أجيبها: مرة.. مرة
فأنا تعودتُ على نكهة
تمسح الحسرة
فمن يمسخني عني

